اليوم الأول

الناشر: المكتب المصرى الحديث
٢ شارع شريف عمارة اللواء بالقاهرة تليفون ٧٥٤١٢٧
٧ شارع نوبار بالاسكندرية تليفون ٢٦٦٠٢

عبد الحميد كشك

اليوم الحق

(ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ،
فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ
مَآبًا) «قرآن كريم»

المكتب المصري الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وأصلى وأسلم صلاة وتسليما يليقان بمقام أمير الأنبياء وإمام المرسلين .

وأشهد أن لا إله إلا الله ولى الصالحين . وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمداً رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين .

صل اللهم وسلم وبارك على هذا النبي الأمين ، وعلى آله وصحابته الغر الميامين ، وارحم اللهم مشايخنا ووالدينا وأمواتنا وأموات المسلمين أجمعين .

اللهم إنا نستعينك، ونستهديك، ونستغفرك ونتوب إليك ، ونؤمن بك ، ونتوكل عليك ، ونثنى عليك الخير كله . نشكرك ولا نكفرك ، ونخلع ونترك من يفجرك . اللهم إياك نعبد ، ولك نصلي ، ونسجد ، وإليك نسعى ونحفد . نرجو رحمتك ونخشى عذابك . إن عذابك الجد بالكفار ملحق .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدى هدى سيدنا محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

وبعـد :

فهذا كتاب خصصنا الحديث فيه عن اليوم الآخر الذى يجب على كل مسلم أن يعـد له الزاد ، وقد سأل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز تقى الدين الحسن البصرى فقال له : عظنا. فقال الحسن : يا أمير المؤمنين صم عن الدنيا وأفطر على الموت ، وأعد الزاد لليلة صبحها يوم القيامة .

عبد الحميد كشك

تصـــديـــر

بسم الله الرحمن الرحيم

(يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم . يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد . ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد . كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير . يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيئاً ، وترى الأرض هامدة ، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى ، وأنه على كل شيء قدير . وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور) .

فى هذا المشهد القرآنى ينادى الله تعالى على البشرية آمراً إياهم بالتقوى وقد فسر الإمام على كرم الله وجهه التقوى بأنها الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والرضا بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل .

وقد وقف رضى الله عنه بين المقابر ذات يوم فقال « السلام عليكم يا أهل المقابر أنتم السابقون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون . أنتم فرطنا إلى الجنة ونحن لكم تبع ونسأل الله لنا ولكم العافية — يا أهل القبور أمّا أموالكم فقد قسمت ، وأمّا بيوتكم فقد سكنت ، وأمّا نساؤكم فقد تزوجن غيركم . هذا خبر ما عندنا ، فما خبر ما عندكم ؟ ثم أنصت قليلا والتفت إلى أصحابه وقال : «أما والله لو شاء الله لهم أن يتكلموا لقالوا: إن خير الزاد التقوى » .

(يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم . يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) .

روى عن النبى ﷺ فى تفسير هذا المشهد أحاديث كثيرة .

فقد روى الإمام أحمد عن النبى ﷺ أنه قال : « أتدرون أى يوم ذاك ؟ ذاك يوم ينادى آدم عليه السلام فيناديه ربه عز وجل فيقول : يا آدم ابعث ، بعثك إلى النار ، فيقول يارب وما بعث النار ؟ فيقول : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فى النار وواحد فى الجنة » قال فأبلس أصحابه . فلما رأى ذلك قال « أبشروا واعملوا ، فوالذى نفس

محمد بيده إنكم لمع خليقتين ما كانتا مع شيء قط إلا كثرتاه (يأجوج ومأجوج) ومن هلك من بنى آدم وبنى إبليس » .

قال الإمام البخارى عند تفسير هذه الآية : حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبى ، حدثنا الأعمش حدثنا أبو صالح عن أبى سعيد قال : قال النبى ﷺ : « يقول الله تعالى يوم القيامة يا آدم ، فيقول لبيك ربنا وسعديك ، فينادى بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار . قال يارب وما بعث النار ؟ قال من كل ألف — أراه قال — تسعمائة وتسعة وتسعون . فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد (وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم . قال النبى ﷺ « من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد ، أنتم فى الناس كالشعرة السوداء فى جنب الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء فى جنب الثور الأسود ، إنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة — فكبرنا ، ثم قال ثلث أهل الجنة — فكبرنا ، ثم قال شطر أهل الجنة فكبرنا » .

وقال الإمام أحمد قال رسول الله ﷺ : « إن الله يبعث يوم القيامة منادياً يا آدم إن الله يأمرك أن تبعث بعثاً من ذريتك إلى النار ، فيقول آدم : يارب من هم ؟ فيقال له : من كل مائة تسعة وتسعون » فقال رجل من القوم من هذا الناجى منا بعد هذا يارسول الله ؟ قال : « هل تدرون ما أنتم فى الناس إلا كالشامة فى صدر البعير » .

وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى عن حاتم بن أبى صغيرة حدثنا ابن

أبى مليكة أن القاسم بن محمد أخبره عن عائشة عن النبى ﷺ قال : « إنكم تحشرون إلى الله يوم القيـــامة حفاة عراة غرلا » قالت عائشة يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال : « يا عائشة إن الأمر أشد من أن يهمهم ذاك » .

وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا ابن لهيعة عن خالد ابن أبى عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت : قلت يارسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة ؟ قال : « ياعائشة أما عند ثلاث فلا ، أما عند الميزان حتى يثقل أو يخف فلا ، وأما عند تطاير الكتب ، إما يعطى بيمينه وإما يعطى بشماله فلا ، وحين يخرج عنق من النار فيطوى عليهم ويتغيظ عليهم ويقول ذلك العنق : وكلت بثلاثة ، وكلت بثلاثة ، وكلت بثلاثة ، وكلت بمن ادعى مع الله إلهاً آخر ، ووكلت بمن لا يؤمن بيوم الحساب ، ووكلت بكل جبار عنيد . قال فينطوى عليهم ويرميهم فى غمرات جهنم ، ولجهنم جسر أرق من الشعر وأحد من السيف ، عليه كلاليب وحسك « شوك » يأخذان من شاء الله ، والناس عليه كالبرق ، وكالطرف ، وكالريح ، وكأجاويد الخيـل والركاب ، والملائكة يقولون : يارب سلم ، سلم . فناج مسلم ، ومخدوش مسلم ، ومكور فى النار على وجهه » ومعنى قوله تعالى : (إن زلزلة الساعة شىء عظيم) أى أمر عظيم ، وخطب جليل ، وطارق فظيع ، وحادث هائل ، وكائن عجيب .

قال تعالى (إذا زلزلت الأرض زلزالها . وأخرجت الأرض أثقالها .

وقال الإنسان ما لها . يومئذ تحدث أخبارها . بأن ربك أوحى لها . يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم . فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) .

والمراد بزلزال الساعة ما يحدث للنفوس من فزع وكرب شديد . قال جل جلاله (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون . لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون . لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون) .

ومعنى قوله جل شأنه (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت) أى يشتغل كل حميم عن حميمه . ويفر كل صديق من صديقه حتى إن الأم تلقى ولدها فتقول له يا بنى لقد كان بطنى لك وعاء ، وكان ثديى لك سقاء ، وكان حجرى لك وطاء ، وأنت تعلم ما بى ، أمعك حسنة يعود على خيرها اليوم ؟ فيقول ابنها : ليتنى يا أماه أستطيع ذلك ، إننى أشكو مما منه تشكين . ويلقى الوالد ولده فيقول له ولده يا أبت لقد كنت بك براً ، وإليك محسناً ، وعليك مشفقا ، فهل أجد عندك حسنة يعود على خيرها اليوم ؟ فيقول له والده : يا بنى ليتنى أستطيع ذلك ، إننى أشكو مما منه تشكو . وهذا معنى قوله جل شأنه (ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمـــل منه شيء ولو كان ذا قربى) .

وفى قوله تعالى: (وتضع كل ذات حمل حملها) معنى بلاغى معجز ، فإن الحامل لا تضع حملها قبل تمام مدته ، إلا إذا أصيبت بفزع شديد ،

وهلع عنيف . وهل هناك بعد زلزلة الساعة فزع أعنف أو هلع أشد ؟ إنها كناية من ألطف الكنايات ، وعبارة تتبوأ مكانتها فى أعلى طبقات البلاغة .

قال تعالى: (وترى الناس سكارى وما هم بسكارى) وذلك لما أصابهم من الدهشة والشرود ، لهول ما يرون .

(يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن . ولا يسأل حميم حميما . يبصرونهم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه ، وصاحبته وأخيه . وفصيلته التى تؤويه . ومن فى الأرض جميعاً ثم ينجيه . كلا إنها لظى . نزاعة للشوى . تدعو من أدبر وتولى . وجمع فأوعى) .

ألا يكفى أن يكون هذا المشهد جديراً بأن تذهل المراضع عمن أرضعن ، وأن تضع الحوامل حملهن قبل تمام مدته ، وأن يصير الناس فى سكرة وحيرة ، العقول شاردة ، والألباب فى دهشة ، والأفئدة قد بلغت الحناجر ؟

(فإذا جاءت الصاخة . يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبته وبنيه . لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه . وجوه يومئذ مسفرة . ضاحكة مستبشرة . ووجوه يومئذ عليها غبرة . ترهقها قترة . أولئك هم الكفرة الفجرة) .

إنهم سكارى من شدة ما رأوا من خطوب وأهوال ، وماهم

بسكارى من شراب تعاطوه ، أو كؤوس مترعة تجرعوها ، ولكن بعذاب الله شديد .

(وجىء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى . يقول ياليتنى قدمت لحياتى . فيومئذ لا يعذب عذابه أحد . ولا يوثق وثاقه أحد) .

إن هذه الآية الكريمة لو نزلت على جبل لخر لها الجبل هداً .

إنها تنخلع من هولها القلوب ، وتشيب من جلالها الولدان .

(إذا وقعت الواقعة . ليس لوقعتها كاذبة . خافضة رافعة) .

فى الآيتين السابقتين إشارات صريحة إلى أهوال يوم القيامة . ويكفى أن نضع يد القارىء على هذه المواقف التى تجعل الولدان شيباً ، وتنفطر لها القلوب ، وتنخلع من هولها الأفئدة .

(إن زلزلة الساعة شىء عظيم) .

ويكفى أن تعلم أن الذى أخبر عن كون الزلزلة شيئاً عظيماً هو الله العظيم .

(تذهل كل مرضعة عما أرضعت) .

وهل هناك صلة أقوى من صلة الأم برضيعها ؟

وهل ثمة عاطفة ورحمة تفوق عاطفة الأم برضيعها ورحمتها به ؟

(وتضع كل ذات حمل حملها) .

وهل هناك هول أشد من هذا الهول الذى تطرح فيه الأرحام أجنتها ، وتلفظها من القرار المكين لفظ النوى ؟

(وترى الناس سكارى وما هم بسكارى) .

وهل هناك تعبير عن الحيرة أقوى من السكرة ؟

(ولكن عذاب الله شديد) .

وفى كلمة العذاب والشدة ما تقف أمامه النفس خاشعة لجلال ربها ،

متواضعة لكبريائه . إن كلمة العذاب فى حد نفسها كلمة عصيبة وخطيرة، فإذا ما أخبر عنها بالشدة بلغت أعلى مكان من الهول والخطب الجسيم .

وبعد هذا العرض السريع ، والمواقف الحاسمة التى نراها تتخلل الآية الكريمة ، نسأل ما النجاة ؟

ويأتى الجواب على لسان رسول الله ﷺ عندما سأله عقبة بن عامر رضى الله عنه وهو يقول ما النجاة يا رسول الله ؟

قال له : « أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك » .

أما إمساك اللسان فعن اللغو ، والرفث ، والكلام الفاحش ، وعن كل ما حرم الله من الغيبة والنميمة وشهادة الزور ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات .

وهنا نسأل فما البديل عن كل هذا ؟

ونجد الإجابة فى قوله ﷺ : « ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق،وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قلنا : بلى . قال : ذكر الله » .

ما أروعك يا رسول الله عندما تتكلم بجوامع الكلم فترفعنا إلى أعلى درجات البلاغة . وما أروع ما قيل فيك :

فما عرف البلاغة ذو بيان إذا لم يتخذك له كتاباً

كلمة موجزة ، أجاب بها الرسول ﷺ عن هذا العرض العظيم من الخيرات والأجر ، والدرجة ، والفضل . هذه الكلمة هى ذكر الله . ومعنى الذكر استحضار عظمة الله تعالى فى قلب المؤمن (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) .

نعم تطمئن لرحمته ومغفرته وعطفه .

فذكر الله دواء وشفاء . وذكر الناس أسقام وداء .

وهل طابت الدنيا إلا بذكره ؟

وهل طابت الآخرة إلا بعفوه ؟ وهل طابت الجنة إلا برؤيته ؟

(إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) .

وجلت قلوبهم تعظيما لمهابة الله ، وتوقيراً لجلاله وكماله وجماله . فالذكر فى القلب طمأنينة لرحمته وعفوه . وهو أيضاً خوف وإجلال لعظمته ومهابته ، فإذا ما أمسك الإنسان لسانه عن اللغو فإنه يشغل بذكر الله .

والذكر كما قالوا على سبعة أنحاء : ذكر العينين البكاء ، وذكر الأذنين الإصغاء ، وذكر اللسان الثناء ، وذكر اليدين العطاء ، وذكر البدن الوفاء ، وذكر الروح الخوف والرجاء ، وذكر القلب التسليم والرضاء .

فإذا ما وسع الإنسان بيته فقد أصبح بعيداً عن مواطن الشبهة ومجالس الريبة ، وأماكن الفسق .

ومن وضع نفسه موضوع الريبة والشبهة فلا يلومن من أساء الظن به .

إذا ما وسع الإنسان بيته كما أخبر النبي ﷺ فى إرشاده « وليسعك بيتك » فإنه يكون فى بيته كالمصباح المضيء بين أولاده بعيداً عن كل ما يلهى ويشغل ويصبح بيته من البيوت التى أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه .

وتأتى الفقرة الثالثة « وابك على خطيئتك » .

وهل يبكى الإنسان على خطيئته إلا إذا كان قلبه مليئاً بخير وتوبة ؟

وهل يصل الإنسان إلى هذه الدرجة إلا إذا استحضر عظمة الله فى قلبه ؟

(والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله، ولم يصروا على مافعلواوهم يعلمون).

إذن فمدار الأمر كله ، وطريق النجاة يدور حول ذكر الله ، ويرتكز عليه ، فهو قطب الرحى ، ومناط الاستنباط ، وحجر الزاوية ، ومحور الارتكاز ، ومركز الدائرة .

ومن ثم فإنه لا بأس أن نسجل هنا حشداً من فوائد الذكر التى نص عليها العلامة ابن القيم فى كلامه القيم .

عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما . قالا : قال رسول الله ﷺ : « ما من قوم يذكرون الله ، إلا حفتهم الملائكة ،

وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده » أخرجه مسلم فى كتاب الذكر والترمذى فى كتاب الدعاء .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الرب تبارك وتعالى : من شغله قراءة القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » أخرجه الترمذى .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « يقول الرب يوم القيامة سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم ، فقيل : ومن أهل الكرم يارسول الله ؟ قال : أهل مجالس الذكر فى المساجد » رواه الإمام أحمد وأبو يعلى والبيهقى وابن حبان فى صحيحه .

وعن معاوية رضى الله عنه أن النبى ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده ، فقال : أتانى جبريل فأخبرنى أن الله يباهى بكم الملائكة » أخرجه مسلم .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله إلا ناداهم مناد من السماء : قوموا مغفوراً لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات » أخرجه أحمد .

وعن ثابت قال : كان سلمان فى عصابة (جماعة) يذكرون الله ، فمر النبى ﷺ فكفوا فقال : « ما كنتم تقولون ؟ قلنا : نذكر الله . قال : إنى رأيت الرحمة تنزل ، فأحببت أن أشارككم فيها . ثم قال : الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمرت « أن أصبر نفسى معهم » أخرجه الإمام أحمد والحاكم وصححه .

فوائد الذكر كما ذكرها العلامة ابن القيم

والآن إلى ما قاله ابن القيم رحمه الله تعالى :

قال رضى الله عنه فى فوائد الذكر :

وفى الذكر أكثر من مائة فائدة :

الأولى – أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره .

الثانية – أنه يرضى الرحمن عز وجل .

الثالثة – أنه يزيل الهم والغم عن القلب .

الرابعة – أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط .

الخامسة – أنه ينور الوجه والقلب .

السادسة – أنه يقوى القلب والبدن .

السابعة – أنه يجلب الرزق .

الثامنة – أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة .

التاسعة – أنه يورث المحبة التى هى روح الإسلام وقطب رحى الدين ، ومدار السعادة والنجاة ، وقد جعل الله لكل شىء سبباً ، وجعل سبب المحبة دوام الذكر ، فمن أراد أن ينال محبة الله تعالى فليلهج بذكره ، فالذكر باب المحبة وشعارها الأعظم ، وصراطها الأقوم .

العاشرة – أنه يورث المراقبة حتى يدخله فى باب الإحسان ، فيعبد

الله كأنه يراه ، ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان ، كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت .

الحادية عشرة — أنه يورث الإنابة ، وهى الرجوع إلى الله عز وجل، فمن أكثر الرجوع إليه بذكره أورثه ذلك رجوعه بقلبه إليه فى كل أحواله ، فيبقى الله عز وجل مفزعه وملجأه وملاذه ومعاذه ، وقبلة قلبه ، ومهربه عند النوازل والبلايا .

الثانية عشرة — أنه يورث القرب منه ، فعلى قدر ذكره لله عز وجل يكون قربه منه ، وعلى قدر غفلته يكون بعده .

الثالثة عشرة — أنه يفتح له باباً عظيما من أبواب المعرفة ، وكلما أكثر من الذكر ازداد من المعرفة .

الرابعة عشرة — أنه يورثه الهيبة لربه عز وجل وإجلاله ، لشدة استيلائه على قلبه ، وحضوره مع الله تعالى ؛ بخلاف الغافل فإن حجاب الهيبة رقيق فى قلبه .

الخامسة عشرة — أنه يورثه ذكر الله تعالى له ، كما قال تعالى : (فاذكرونى أذكركم) ولو لم يكن فى الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلا وشرفاً . وقال ﷺ فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى : « من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم » .

السادسة عشرة — أنه يورثه حياة القلب ، وسمعت شيخ الإسلام

ابن تيمية رحمه الله تعالى يقول : الذكر للقلب مثل الماء للسمك . فكيف يكون حال السمك إذا ما فارق الماء ؟

السابعة عشرة — أنه يورث جلاء القلب من صدئه وكل شيء له صدأ ، وصدأ القلب الغفلة والهوى ، وجلاؤه الذكر والتوبة والاستغفار.

الثامنة عشرة — أنه يحط الخطايا ويذهبها فإنه من أعظم الحسنات ، والحسنات يذهبن السيئات .

التاسعة عشرة — أنه يزيل الوحشة بين العبد وربه تبارك وتعالى ، فإن الغافل بينه وبين الله عز وجل وحشة لا تزول إلا بالذكر .

العشرون — أن العبد إذا تعرف إلى الله تعالى بذكره في الرخاء عرفه في الشدة ، وقد جاء أثر معناه ، إن العبد المطيع الذاكر لله تعالى ، إذا أصابته شدة أو سأل الله حاجة ، قالت الملائكة : يارب ، صوت معروف من عبد معروف . والغافل المعرض عن الله تعالى إذا دعاه وسأله ، قالت الملائكة : يارب ، صوت منكر من عبد منكر .

الحادية والعشرون — أنه منج من عذاب الله تعالى ، كما قال معاذ رضي الله عنه ويروى مرفوعاً : « ما عمل آدمي عملا أنجى له من عذاب الله عز وجل من ذكر الله تعالى » رواه الترمذي في كتاب الدعاء .

الثانية والعشرون — أنه سبب تنزل السكينة ، وغشيان الرحمة ، وحفوف الملائكة بالذاكر ، كما أخبر به النبي ﷺ .

الثالثة والعشرون — أنه سبب انشغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل ، فإن العبد لابد له من أن يتكلم ، فإن لم

يتكلم بذكر الله تعالى وذكر أوامره تكلم بهذه المحرمات أو بعضها ، ولا سبيل إلى السلامة منها البتة إلا بذكر الله تعالى . والمشاهدة والتجربة شاهدان بذلك ، فمن عود لسانه ذكر الله ، صان لسانه عن الباطل ، واللغو ومن يبس لسانه عن ذكر الله ترطب بكل باطل ولغو وفحش ، ولاحول ولا قوة إلا بالله .

الرابعة والعشرون — أن مجالس الذكر مجالس الملائكة ، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين ، فليتخير العبد أعجبهما إليه وأولاهما به ، فهو مع أهله فى الدنيا والآخرة .

الخامسة والعشرون — أنه يسعد الذاكر بذكره ، ويسعد به جليسه ، وهذا هو المبارك أينما كان . والغافل واللاغى يشقى بلغوه وغفلته ، ويشقى به مجالسه .

السادسة والعشرون — أنه يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة فإن كل مجلس لا يذكر العبد فيه ربه تعالى كان عليه حسرة وترة يوم القيامة .

السابعة والعشرون — أنه مع البكاء فى الخلوة سبب لإظلال الله تعالى العبد يوم الحر الأكبر فى ظل عرشه .

الثامنة والعشرون — أن الاشتغال به سبب لعطاء الله للذاكر أفضل ما يعطى السائلين . ففى الحديث عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ « قال سبحانه وتعالى : من شغله قراءة القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » .

التاسعة والعشرون — أنه أيسر العبادات ، وهو من أجلها وأفضلها . فإن حركة اللسان أخف حركات الجوارح وأيسرها . ولو تحرك عضو من أعضاء الإنسان فى اليوم والليلة بقدر حركة لسانه لشق عليه غاية الشقة ، بل لا يمكنه ذلك .

الثلاثون — أنه غراس الجنة . فقد روى الترمذى فى جامعه من حديث عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « لقيت ليلة أسرى بى إبراهيم الخليل عليه السلام فقال : يامحمد أقرىء أمتك السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » .

الحادية والثلاثون — أن العطاء والفضل الذى رتب عليه لم يرتب على غيره من الأعمال ، ففى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه » — ومن قال : « سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » .

الثانية والثلاثون — أن دوام ذكر الرب تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه الذى هو سبب شقاء العبد فى معاشه ومعاده ، فإن نسيان الرب

سبحانه وتعالى يوجب نسيان نفسه ومصالحها . قال تعالى : (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) .

الثالثة والثلاثون — أن الذكر يسير العبد وهو فى فراشه وفى سوقه وفى حال صحته وسقمه ، وفى حال نعيمه ولذته ، وليس شيء يعم الأوقات والأحوال مثله حتى إنه يسير العبد وهو نائم على فراشه ، فيسبق القائم مع الغفلة فيصبح هذا وقد قطع الركب وهو مستلق على فراشه ويصبح ذلك القائم الغافل فى ساقه الركب ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وحكى عن رجل من العباد أنه نزل برجل ضيفاً ، فقام ، العابد ليله يصلى ، وذلك الرجل مستلق على فراشه ، فلما أصبحا قال له العابد : سبقك الركب ، فقال ليس الشأن فيمن بات مسافراً وأصبح مع الركب ، الشأن فيمن بات على فراشه وأصبح قد قطع الركب .

وهذا ونحوه له محل صحيح ومحل فاسد ، فمن حكم على أن الراقد المضطجع على فراشه يسبق القائم القانت ، فهو باطل ، وإنما محله أن هذا المستلقى على فراشه علق قلبه بربه عز وجل ، وألصق حبة قلبه بالعرش ، وبات قلبه يطوف حول العرش مع الملائكة ، قد غاب عن الدنيا وما فيها ، وقد عاقه عن قيام الليل عائق من وجع أو برد يمنعه عن القيام ، أو خوف على نفسه من رؤية عدو يطلبه ، أو غير ذلك من الأعذار ، فهو مستلق على فراشه وفى قلبه ما الله تعالى به عليم . وآخر قائم يصلى ويتلو ، وفى قلبه من الرياء والعجب وطلب الجاه والمحمدة

عند الناس ما الله به عليم ، أو قلبه فى واد وجسمه فى واد . فلا ريب أن ذلك الراقد يصبح وقد سبق هذا القائم بمراحل كثيرة .

الرابعة والثلاثون — أن الذكر رأس الأصول ، وطريق عامة الطائفة الصوفية ومنشور الولاية ، فمن فتح له فيه فقد فتح له باب الدخول على الله عز وجل ، فليطهر وليدخل على ربه يجد عنده كل ما يريد ، فإن وجد ربه عز وجل وجد كل شىء ، وإن فاته ربه عز وجل فاته كل شىء .

الخامسة والثلاثون — أن الذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التى يثمر إليها السالكون ، فلا سبيل إلى نيل ثمارها إلا من شجرة الذكر ، وكلما عظمت تلك الشجرة ورسخ أصلها كان أعظم لثمرتها ، فالذكر يثمر المقامات كلها من اليقظة إلى التوحيد ، وهو أصل كل مقام وقاعدته التى يبنى ذلك المقام عليها ، كما تبنى الحائط على أسسها ، وكما يقوم السقف على حائطه ، وذلك أن العبد إن لم يستيقظ لم يمكنه قطع منازل السير ، ولا يستيقظ إلا بالذكر كما تقدم ، فالغفلة نوم القلب أو موته .

السادسة والثلاثون — أن الذاكر قريب من مذكوره ، ومذكوره معه ، وهذه المعية معية خاصة غير معية العلم والإحاطة العامة ، فهى معية بالقرب والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق ؛ كقوله تعالى : (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) (والله مع الصابرين) (وإن الله لمع المحسنين) (لا تحزن إن الله معنا) وللذاكر من هذه المعية نصيب وافر كما فى الحديث الإلهى « أنا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت بى شفتاه » .

وفى أثر آخر « أهل ذكرى أهل مجالستى ، وأهل شكرى أهل زيادتى ، وأهل طاعتى أهل كرامتى ، وأهل معصيتى لا أقنطهم من رحمتى . إن تابوا إلى فأنا حبيبهم ، فإنى أحب التوابين وأحب المطهرين ، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم ، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب » .

والمعية الحاصلة للذاكر معية لا يشبهها شىء ، وهى أخص من المعية الحاصلة للمحسن والمتقى ، وهى معية لا تدركها العبارة ، ولا تنالها الصفة ، وإنما تعلم بالذوق .

السابعة والثلاثون — أن أكرم الخلق على الله تعالى من المتقين من لا يزال لسانه رطبا بذكره ؛ فإنه اتقاه فى أمره ونهيه ، وجعل ذكره شعاره . فالتقوى أوجبت له دخول الجنة والنجاة من النار وهذا هو الثواب والأجر ، والذكر يوجب له القرب من الله عز وجل والزلفى لديه وهذه هى المنزلة .

الثامنة والثلاثون — أن فى القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى ، فينبغى للعبد أن يداوى قسوة قلبه بذكر الله تعالى .

وذكر حماد بن زيد : أن رجلا قال للحسن : يا أبا سعيد ؛ أشكو إليك قسوة قلبى . قال : أذبه بالذكر وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة اشتدت به القسوة ، فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة ، كلما يذوب الرصاص فى النار ، فما أذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله تعالى .

التاسعة والثلاثون — أن الذكر شفاء القلب ودواؤه ، والغفلة مرضه ،

فالقلوب مريضة ودواؤها وشفاؤها ذكر الله تعالى ، قال مكحول : « ذكر الله تعالى شفاء ، وذكر الناس داء » وقيل :

إذا مرضنا تداوينـــا بذكركم ونترك الذكر أحياناً فننتكس

الأربعون — أن الذكر أصل موالاة الله عز وجل ورأسها ، والغفلة أصل معاداته ورأسها ، فإن العبد لا يزال يذكر ربه حتى يحبه فيواليه ، ولا يزال يغفل عنه حتى يبغضه فيعاديه .

قال الأوزاعي : قال حسان بن عطية : ما عادى عبد ربه بشيء أشد عليه من أن يكره ذكره أو من يذكره . فهذه المعاداة سببها الغفلة ، ولا تزال بالعبد حتى يكره ذكر الله ، ويكره من يذكره ، فحينئذ يتخذه الله عدواً كما اتخذ الذاكر ولياً .

الحادية والأربعون — أن مدمن الذكر يدخل الجنة وهو يضحك ، لما ذكر عن أبي الدرداء قال : « الذين لا تزال ألسنتهم رطبة بذكر الله عز وجل ، يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك » .

الثانية والأربعون — أن الذكر سد بين العبد وبين جهنم . فإذا كانت إلى جهنم طريق من عمل من الأعمال ، كان الذكر سداً في تلك الطريق ، فإذا كان ذكراً دائماً كاملا كان سداً محكما لا ينفذ فيه ، وإلا فبحسبه .

الثالثة والأربعون — أن جميع الأعمال إنما شرعت إقامة لذكر الله تعالى . فالمقصود بها تحصيل ذكر الله تعالى ، قال تعالى (وأقم الصلاة لذكرى) .

يقول الحسن البصرى إمام التابعين : « أحب عباد الله إلى الله أكثرهم ذكراً وأتقاهم قلباً » .

وقال ذو النون المصرى : « ما طابت الدنيا إلا بذكره ، ولا طابت الآخرة إلا بعفوه ، ولا طابت الجنة إلا برؤيته » .

يقول أبو سعيد الخراز رحمه الله : « إن الله تعالى عجل بأرواح أوليائه التلذذ بذكره والوصول إلى قربه ، وعجل بأبدانهم النعمة بما نالوه من مصالحهم وأجزل نصيبهم من كل كائن ، فعيش أبدانهم عيش الجنانيين (أهل الجنة) وعيش أرواحهم عيش الربانيين » ا هـ .

• • •

وبعد بيان هذه الفوائد التى أفاض الله بها على قلب صاحبها ، نلتقى مع القرآن الكريم ، فنصل زحفنا المقدس بآياته البينات من سورة الحج .

قال تعالى (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد . كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير) .

هاتان الآيتان الكريمتان بوضعهما فى هذا النسق الرتيب ، تدلان دلالة قاطعة على أن من الناس فريقاً طبع على الجدال بالباطل والخصومة الكاذبة والمراء بغير حق ، ولو كان ذلك فى حق الله .

ومع ذلك فإن الله لا يعجل كعجلة أحدنا ، إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته . قال الله تعالى (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون . وأملى لهم إن كيدى متين) .

وروى الإمام البخارى ومسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله عز وجل، إنه ليشرك به ويجعل له الولد ويعافيهم ويرزقهم » .

ما أقبح الجدل إذا لم يكن المقصود به الوصول إلى الحق ، وما أشد قبحه إذا كان بغير علم ، بأن كان مبنياً على الجهل ، وأعدى أعداء الإنسان جهله ، وما أشد شناعته إذا كان بغير هدى ، بأن كان مبنياً على ضلال وبعد عن الحق . وما أشد جرمه إذا كان اتباعا لكل شيطان مريد من شياطين الإنس والجن ، وأشد من هذا كله أن يكون جدلا فى الله من بعد ما استجيب له ، وظهرت آياته فى الآفاق والأنفس . وما أخطر الطريق إذا كان الجدل سيراً وراء شيطان كتب عليه أن كل من تولاه واتخذه ولياً له ومرشداً فأنه يضله ضلالا بعيداً فى الدنيا ، ويهديه إلى عذاب السعير النار الشديدة فى الآخرة .

(يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر) .

(إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) .

جاءت هاتان الآيتان بعد قوله تعالى (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) لتفيد أن من الذين يجادلون فى الله ناساً يجادلون فى وقوع البعث ويعاندون ويكابرون .

قال تعالى (خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين) .

وقال جل شأنه مبيناً خصومة ذلك الإنسان العنيد فى قوله (أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) .

روى الإمام البخارى رضى الله عنه قال حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « قال الله تعالى : كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياى فقوله لن يعيدنى كما بدأنى ، وليس أول الخلق بأهون على من إعادته ، وأما شتمه إياى فقوله اتخذ الله ولداً ، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لى كفواً أحد » .

البعث الحق

(يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً، وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج. ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير . وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور) .

لما ذكر الله تعالى أن هناك فريقاً من الناس يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد، عقب ذلك بذكر الأدلة على البعث بعد الموت حتى يقطع الجدال الذى تلوكه ألسنة المكابرين الجاحدين فقال (يأيها الناس) وهذا نداء للبشرية جمعاء (إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب) .

ثم بعد ذكر هذه الآية الواضحة البينة ذكر خمس نتائج أنتجتها الآية :

الأولى ــ ذلك بأن الله هو الحق .

الثانية ــ وأنه يحيي الموتى .

الثالثة ــ وأنه على كل شيء قدير .

الرابعة ــ وأن الساعة آتية لا ريب فيها .

الخامسة ــ وأن الله يبعث من فى القبور .

أدلـــــة البعـــث

ومن يقرأ آية البعث يجدها قد اشتملت على نموذجين من الأدلة : الأول ــ قياس الإعادة على البدء ، وذلك فى قوله تعالى (فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيئاً) .

الدليل الثانى ــ قياس البعث على نبات الأرض ، فإن بين الإنسان وبين النبات صلة قوية . قال تعالى (وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) .

وصفوة القول أن الله الذى بلغت قدرته شأواً لا حدود له ، والذى خلق الإنسان من العدم ، قادر على أن يعيده بعد أن تتفرق أجزاؤه ويفنى جسده ، وهذا قياس الأولى أى قياس الأدنى على الأعلى . فالذى أوجد من العدم قادر بالأولى على أن يعيد بعد الإيجاد .

ثم إذا انتقلنا إلى النموذج الثانى من الأدلة وهو القياس على النبات ، وجدنا أن الأرض الميتة الهامدة الساكنة سرعان ما ينزل عليها الماء فتحيا بالنبات وما النبات والإنسان إلا كائنات حية ، تشترك فى صفات كثيرة وأطوار عدة .

أدلـــــــة أخـــــــرى

وقد حشد القرآن الكريم آيات بينات لهذه المعركة التى دارت رحاها بين العقيدة المؤمنة والأخرى الجاحدة ، وكلها تدور حول قضية البعث ، وهذه الأدلة آيات ناطقات بعظمة الله ، وجلال إبداعه فى كونه ، وبعد حشد الأدلة يذكر البعث ويقرره .

من ذلك قوله تعالى فى سورة الرعد (المر تلك آيات الكتاب والذى أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون . الله الذى رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون . وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون . وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) .

بعد حشد هذه الأدلة البينة يعرض القرآن لقضية البعث فيقول : (وإن تعجب فعجب قولهم أإذا كنا تراباً أئنا لفى خلق جديد . أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) .

وكأنى بالقرآن الكريم يلقى باللائمة على هؤلاء الذين اتضحت

أمامهم الأدلة المنصوبة فى عالم السماء والأرض كيف يسألون هـذا السؤال العجيب وهم يعلمون علم اليقين أن الآيات على قدرة الله تحيط بهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ؟ .

كيف يسألون هذا السؤال وهم يعتقدون أن الذى أخبر بالبعث بعد الموت هو الذى نصب الآيات فى الآفاق والأنفس . ومن هنا فقد حكم على هؤلاء الجاحدين بثلاثة أشياء (أولئك الذين كفروا بربهم ، وأولئك الأغلال فى أعناقهم ، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) .

نعم إن إنكار البعث كفر بالله ، لأنه تكذيب لإخبار الله به فى القرآن .

واستمع إلى قول هذا الرجل الذى قص القرآن قصته مع صاحبه وهو يحاوره ، والذى جاء فى سورة الكهف : (واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا . كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهراً . وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً . ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً . وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيراً منها منقلباً) .

فماذا قال له صاحبه رداً على قوله (وما أظن الساعة قائمة) ؟

(قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا) .

فحكم عليه بالكفر لإنكاره البعث (لكن هو الله ربى ولا أشرك بربى أحداً) .

إن لنا فى آيات سورة الرعد عجباً عندما نتأملها ونتأمل القدرة الفائقة .

عندئذ لا يمكن أن يكون للشك سبيل فى قلوب ذوى البصائر .

(الله الذى رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون) .

إن السماوات عالم عظيم يدهش العقول (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح) .

فماذا يقول العلم فى هذا العالم البديع الصنع ؟

إننا نسوق نبذة يسيرة مما قاله العلم فى هذا الكون ، لا تزيد عن كونها شعاعا متسللا من حنايا النافذة .

(قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً) .

عظمة الكون

جاء فى كتاب « العلم فى خدمة الدين » للباحث محمد عاطف البرقوقى ما نصه : « إذا كان الإنسان قد بهرته الأرض واتساعها ، ولم يكشف عن جميع نواحيها إلا بعد آلاف السنين ولم يصل إلى القمر إلا فى القرن العشرين (القمر الصناعى) وكان لوصوله دوى عظيم ملأ الأسماع من إذاعات العالم ، وأشبع الأبصار من صوره . . . ومع ذلك فإن القمر الصناعى الأول لم يزن أكثر من ١٨٤ رطلا ، ثم زاد القمر الثانى إلى ٥٠٨ رطلا ، وبلغ فى سنة ١٩٦٠ عدة أطنان ، فأين هذا من وزن القمر الطبيعى ؟ بل ما كان يصح إطلاقا تسمية هذه القنبلة الصغيرة قمراً على الإطلاق ، وأين هذا من وزن الأرض ، وأين وزن الأرض بالنسبة للشمس التى يبلغ وزنها ٣,٣٢٣,٠٠٠ مرة من وزن الأرض ؟؟!! ومع ذلك فهنالك فى الكون بلايين النجوم ، وشمسنا ما هى إلا نجم من النجوم ، وإنما تبدو لنا شمسنا كبيرة لقربها من الأرض ، وأقول : قربها رغم أن الإنسان بعلمه وغروره لم يصل إلى جزء من مليون من المسافة بيننا وبين الشمس .

والعلم بعد كشفه للمنظار ، وكان أول منظار كشفه العالم الإيطالى (غاليليو) (١٥٦٤ إلى ١٦٤٢) وتطورت المناظير بعد ذلك فقويت وقربت — وإن كان الإنسان يستطيع بالنظر إلى السماء ليلا بالعين المجردة أن يشاهد ٦٠٠٠ نجم ، فإنه بعد كشف المناظير استطاع أن يشاهد ٨٠ مليون نجم ، ثم بطرق علمية أخرى ، وبخاصة بالتصوير العلمى

استطاع أن يدرك وجود ١٥٠ مليون نجم وما خفى كان أعظم ! . والواقع أنه يوجد أضعاف هذا العدد من النجوم فى الكون ...

والنجوم والكواكب موزعة . فى الفضاء مجاميع ، مثل الطيور تطير فى الفضاء أسرابا ، والأرض والقمر والمشترى والزهرة والشمس وغيرها تكون مجموعة هى المجموعة الشمسية . ويوجد عدد عظيم من المجموعات المتشابهة فى الكون .

فالأرض ليست إلا واحدة من المجموعة الشمسية . والمجموعة الشمسية ليست إلا واحدة من وحدات المجموعة المجرية . فالأرض على عظمتها واتساعها والتى بهرت الإنسان — ما هى إلا جزء صغير من الكون العظيم

ولكى أبين لحضراتكم اتساع الكون أقول : إن البعد بين الأرض والشمس يبلغ (٩٢٫٨٧٠٫٠٠٠) ميل ، وهى مسافة كبيرة كما ترون ، ولكن هذا البعد الكبير ليس إلا جزءاً صغيراً من أبعاد تفوقه كثيراً بين الأرض والنجوم البعيدة . . .

ولكى أصور لحضراتكم عظمة هذه الأبعاد ألجأ إلى طريقة أخرى هى طريقة سرعة الضوء .

كثيراً ما نلجأ إلى تصوير المسافات البعيدة بالسرعة فنقول مثلا : إن المسافة بين القاهرة والإسكندرية تبلغ ثلاث ساعات بالقطار السريع ، وأن المسافة بين المنزل والمحطة تبلغ ساعة بالسيارة مثلا .

والسرعة التى سنتخذها وحدة فى تقدير أبعاد الفضاء ليست بالسيارة

ولا القاطرة ولا الطيارة النفاثة والصواريخ ، بل هى سرعة الضوء ، وهى أكبر سرعة معروفة فى العالم .

وسرعة الضوء هى أيضاً سرعة اللاسلكى ، ولكى أوضح لحضراتكم عظم هذه السرعة أوجه النظر بمقارنتها بسرعة قطار سريع يقطع فى الساعة ٦٠ ميلا أى بسرعة ميل واحد فى الدقيقة أو جزء من ستين جزءاً من الميل فى الثانية .

أما الضوء فلا يقطع كسراً من الميل فى الثانية بل يقطع ١٨٦٫٠٠٠ ميل فى الثانية ، أى ما يعادل ٣٠٠٫٠٠٠ كيلومتر فى الثانية ، وهى سرعة عظيمة بلا شك .

وهناك حقيقة أخرى تبين عظمة هذه السرعة ، وهى أن المسافة بين الشمس والأرض وهى نحو ٩٢ مليون ميل كما ذكرنا وأشعة الشمس تصل إلى الأرض بسرعة الضوء العظيمة فتقطع المسافة بينهما فى ٨ دقائق ، $\frac{١}{٢}$ ثانية .

ولو حاول الإنسان أن يقطع هذه المسافة بطائرة نفاثة سرعتها ٦٠٠ ميل فى الساعة لاستغرق قطعها لا ٨ دقائق ولا ٨ ساعات ولا ٨ سنوات بل لاستغرق ذلك نحو ١٧ سنة و٦ أشهر وذلك بشرط أن تستمر سرعتها هذه بدون توقف ليل نهار وأين هى الطائرة التى تسير سنوات دون توقف حتى للتزود بالوقود ؟

فما أعظم سرعة الضوء . . وما أبلغ تلك السرعة الضوئية الكونية التى تدل على قدرة الله تعالى عز وجل .

والشمس قريبة إلى الأرض بالنسبة إلى النجوم الأخرى ، فإن كانت أشعة الضوء تصل إلى الأرض من الشمس فى نحو ٨ دقائق فقد أثبت العلم أن هناك نجوما تبعد عنا بملايين السنين .

وقد اتخذ العلماء السنة الضوئية وحدة تقدير المسافات الكونية تلك المسافات الكبيرة بين النجوم .

ولتتصور ا عظمة هذا الكون أقول : إن رحلة حول الأرض يقوم بها الإنسان تستغرق أياماً أو ساعات أو أشهر . . . ولكن اللاسلكى يقطعها فى أقل من $\frac{1}{7}$ ثانية — وأقرب نجم إلينا بعد الشمس يصل ضوؤه فى (١٥٫٠٠٠) سنة . ويعتقد العلماء أن هناك نجوماً يصل إلينا ضوؤها فى ألف مليون سنة ضوئية .

وقد أثبت العلم أن النجوم وكل ما فى الوجود يسبح فى الفضاء كأسراب الحمام أو الطير التى تطير بسرعة فى الهواء . ولكن النجوم تطير فى الفضاء بسرعة كونية هائلة ، وفيها ما يدور من أقمار حول الأرض ومن أقمار وكواكب حول الشمس وهناك ملايين من المجاميع أو المجرات وفيها ما فيها وكلها تسبح فى الفضاء فى نظام وتنسيق من صنع الله وإبداع الخالق العظيم . .

(لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون) .

والمتأمل فى هذا الكون العظيم ، تأمل العلماء والحكماء ، لا يملك إلا أن يسجد لله خشوعاً وتبجيلا وتقديراً لعظمته وجلاله .

(إنما يخشى الله من عباده العلماء) .

(وتبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون) اهـ .

° ° °

قال الله تعالى (وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) .

آية كبرى من آيات الله فى المملكة النباتية .

إنه الجلال والجمال والكمال .

إن عالم النبات يمثل نوعاً كبيراً من أنواع الإعجاز الإلهى فى هـذا العالم . فالذى أحيا الأرض الموات وأنبت فيها من كل شىء موزون، ومن كل زوج بهيج ، قادر أن يبعث الأجساد بعد فنائها ، وتفرق أجزائها . وما الإنسان إلا عضو فى المملكة الحيوانية ، وبينها وبين المملكة النباتية عظيم شبه .

ولبيان هذه الحقائق نستمع إلى صوت العلم فى بيان رائع وحقائق ناطقة تلهج بالثناء والعرفان على الخالق البديع الذى أحسن كل شىء خلقه .

حديث العلم

جاء فى كتاب « دلائل الحق فى عظمة الخالق » للدكتور عزت محمد خيرى قوله تعالى (إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون) .

بعد ما ذكر المؤلف هذه الآية الكريمة قال : « تتنوع صور الحياة وتتشكل ألوانها ، وتتعدد أصنافها ، وتتكشف خواصها ، ويدأب العلماء على تقصى أسرارها ، والتعرف على أحوالها ، ومتابعة أطوارها ، ولكن بقى للحياة سرها الأعظم ، وهو سر الوجود » .

(ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ، إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور) .

وإن كل ما نعلمه عن الحياة فى مختلف صورها ؛ يتضمن الكثير من التفاعلات الكيميائية ، منها البسيط ومنها المعقد ، منها المعلوم ومنها مازال غير معلوم — وإن كان ملموساً محسوساً — ولعل من أبرز ما يميز الكائنات الحية على الجماد ، أنها — نباتاً كانت أو حيواناً أو إنساناً — قد اختصمت بالقدرة على النمو والتكاثر ، وإن نتاج كل نوع منها له من دلائل التماثل ما يجعل من اليسير نسبته إلى نفس السلالة من الكائنات الحية وتتعدد السلالات وتختلف صفاتها وقد تتشابه فيما بينها فى قليل أو كثير . وإن عمليات النمو والتكاثر تتضمن تفاعلات كيمائية ، وأهمها تلك التى تحدث أثناء تكون الأجنة واكتمال نموها .

وإن نمو كائن جديد يمكن أن يحدث خلال جزء صغير من طور الحياة فى الحيوان أو قد يستمر نموه طوال الحياة .

واستشهد المؤلف بقوله تعالى :

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً) .

وللنبات والحيوان بصفة عامة القدرة على استيعاب بعض المواد كالغذاء والماء وإدخالها فى تفاعلات كيمائية . يصاحبها عادة إنطلاق للطاقة وامتصاص لبعض النواتج ، وتخلص من البعض الآخر ، وتسمى عملية استفادة الكائن بالغذاء الذى يأخذه بعملية الأيض أو التمثيل الغذائى .

ومن خصائص الكائنات أنها تستجيب للأجواء المحيطة بها وتتكيف بها وتتعامل مع بعضها أو كلها ، فقد ينمو النبات فى اتجاه يأتى منه شعاع من ضوء أو طاقة ، كما أن من الحيوان ما تقوده حاسة الشم فيسير وفقاً لمدى قوة تأثير رائحة غذاء يفضله ويميزه على حواسه ، وما توجهه إليه غرائزه تبعاً لذلك .

ولعل المشكلة العظمى التى ما زالت تواجه العلم والعلماء ، وتستحث البحث والفحص والدرس ، هى تعريف (الكائن الحى) تعريفاً دقيقاً — وما بالنا بالنسبة لتركيب أنسجته وخلاياه وتوصيف العمليات البيولوجية والكيميائية والحسية والعصبية فيه ؛ ولعل هذه الحقيقة يمكن

فهمها وإدراك ما بعدها إذا علمنا أن الجدل العلمى ظل فترة طويلة يناقش ويمعن فى الشد والجذب حول أبسط أنواع المادة — فيروسات النبات — التى يظن أن فيها حياة ، فقد تبين أن لهذه الفيروسات القدرة على إحداث صورة بسيطة للتكاثر ألا وهى الانقسام إلى كائنات مماثلة مع الفيروس الأصلى تماثلا تاماً .

فمثلا فى حالة فيروس ورق الطماطم وجد أن الفيروس الواحد يستطيع أن يحول بعض خلايا ورقة الطماطم إلى عدة كائنات هى أساساً وحدات متكاثرة منه ، إلا أنه قد ثبت أن هذه هى صورة الحياة الوحيدة التى توجد فى الفيروسات النباتية بصفة عامة وتظهر كأنما هى إحدى نماذج تحول كائن غير حى إلى كائن حى ، ولكن هذه الكائنات لا تتمتع بأى صفة أخرى من صفات الحياة ، فهى لا تنمو ، ولا تستوعب غذاء ولا تمثل الغذاء ، كما أنها لا تستجيب للمؤثرات الخارجية بالطريقة التى تحدث فى الكائنات الكبيرة النامية .

ويبقى بعد ذلك سؤال هام ما زال يحير العلماء . هل تعتبر هذه الفيروسات كائنات حية ؟ إذا كان الكائن الحى هو ذلك الذى يقدر على القيام بعمليات التمثيل الغذائى (الأيض) والتكاثر والنمو فإن الفيروسات ما هى إلا جزيئات كيميائية بروتينية معقدة التركيب يبلغ وزنها الجزئى ما يقرب من بضع وعشرة ملايين وحدة ، وأن لها من التركيب الجزئى ما يسمح لها بحفز بعض العمليات الكيميائية فى الأوساط المناسبة تستطيع بموجبها تكوين جزيئات مماثلة لها تماماً . وهذا هو — حتى الآن التفسير المتعارف عليه بين جمهور العلماء والباحثين — وبالتالى

فلا يمكن أن نسمى ما يتوصل إليه بعض العلماء مهما جل شأن ما يتوصلون إليه من أمثال هذه التحولات التى تظهر إحدى صور غير مكتملة للحياة على أنه خلق لحياة أو استحداث لها .

هذه بعض فيروسات النبات .. أما فيروسات الحيوان وهى التى تنمو على أنسجة الحيوان ، فقد تبين أن لها تركيباً محدداً وهى أكبر كثيراً من فيروسات النبات ، إذ يبلغ وزنها الجزئى بضعاً وألف مليون وحدة ، كما أنها تمثل الحياة تمثيلا متكاملا ، من أهم خصائصه النمو والتكاثر . وقد وجد أن الكثير من الكائنات الدقيقة كالخمائر والبكتريا آحادية الخلية لها هذه الخواص . وقد تكون الخلية محدودة الحجم بحيث لا ترى إلا بالميكروسكوب (المجهر) . وهذه يبلغ قطر كل منها حوالى جزء من عشرة آلاف جزء من السنتيمتر ، أو قد تكون من الكبر بحيث يبلغ قطرها حوالى المليمتر أو أكثر .

وتتكون الخلية من تركيب دقيق التنظيم ، يتألف من جدار الخلية وهو رقيق جداً ، يبلغ سمكه بضع مئات من وحدات الانجستروم (الانجلستروم = جزء من مائة مليون من السنتيمتر) وفى داخل هـذا الجدار يوجد قوام شبه سائل يتضمن السيتوبلازم وغيره من المركبات . وتتكون بعض الكائنات الأخرى من تجمعات كبيرة من الخلايا قد تتعدد أنواعها فى الكائن الواحد ، فمثلا تتكون العضلات ، وجدران الأوعية الدموية والأنسجة الضامة والأعصاب والجلد وغيرها من أجزاء جسم الإنسان من خلايا مترابطة مع بعضها البعض بنظام رتيب وتركيب محدد .

وبالإضافة لهذه الخلايا توجد خلايا أخرى تسبح فى سوائل الجسم وتنتقل من جزء إلى آخر .

ومن أهم هذه الخلايا كرات الدم الحمراء ، وهى على هيئة أقراص مسطحة يبلغ قطر كل منها حوالى ٧٠ ألف وحدة انجستروم وسمكه حوالى ١٠ آلاف وحدة . وعدد الكرات الحمراء كبير جداً يبلغ فى الشخص البالغ ما يقرب من خمسة ملايين فى المليمتر المكعب من الدم . فإذا ما علمنا أن جسم الإنسان يحتوى على ما يقرب من ٥ لترات من الدم ، فإن عدد الكرات الحمراء يبلغ ٢٠٠٠٠ مليار فى الدم . ويحتوى جسم الإنسان كذلك على عديد من الخلايا الأخرى بعضها يصل قطره إلى حوالى ١٠ آلاف وحدة انجستروم كخلايا الأعصاب ، وهذه تمتد ما يقرب من ١٠٠ سنتيمتر من الأطراف إلى قمة العمود الفقرى . ويبلغ عدد الخلايا فى الجسم حوالى ١٠ بليون خلية .

هذا ولا يتكون الجسم البشرى من الخلايا فقط ، ولكنه يحتوى كذلك على العظام ، وهذه تعتبر مخلفات للخلايا الصانعة للعظام .

وتتكون العظام من مركبات غير عضوية — وهى فسفات الكالسيوم الهيدروكسيدية وكربونات الكالسيوم — ومركب عضوى يسمى الكولاجين ، وهو مادة بروتينية .

وبالإضافة لذلك يحتوى الجسم على السوائل وهى الدم والنخاع وسوائل أخرى تفرزها بعض الأعضاء مثل اللعاب والعصارات الهضمية وتشتمل هذه السوائل على العديد من المواد الكيميائية . ويتحدد تركيب

الخلايا بتركيب خلايا الجدران بصفة خاصة . فى النبات تتكون الخلايا أساساً من السليلوز السكرى ، وفى الحيوان (والإنسان) يمثل البروتين الإطار الأساسى لتكوين الخلايا وجدرانها على حد سواء . فمثلا تحتوى كل من الخلايا الحمراء فى الدم على ٦٠ ٪ من الماء ، ٥ ٪ من مواد متنوعة ، مضافاً إلى ذلك ٣٥٪ من الهيموجلوبين — وهو مركب بروتينى يحتوى على الحديد وزنه الجزئى ٦٨ ألف وحدة — ويتميز بخاصية التفاعل الانعكاسى مع الأكسجين ، وبالتالى تنظيم امتصاص الأكسجين وتفاعلاته فى الجسم . وبهذه الخاصية يمكن للدم أن يتحد مع مقادير كبيرة من الأكسجين فى الرئتين وينقل بالتالى الأكسجين إلى الأنسجة فيؤكسد المواد الغذائية ومكونات الجسم الأخرى محدثاً الطاقة اللازمة لدفع الحياة وحفظها فى الجسد » اهـ .

* * *

هذا بعض من كل عن عظمة الخلق وقدرة الخالق الذى وهب الحياة للكائنات وحفظها عليهم ، وخلق من أنواعها وأصنافها وأشكالها بأمر كن فيكون .

وإن خلقه للبشر أرقى أنواع المخلوقات دليل على إعجاز وقدرة ، ويتمثل فى قوله تعالى : (وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء ثم إلى ربهم يحشرون) .

الخـــلية وحـدة الحيـــاة

وبعد هذا البيان يحدثنا المؤلف عن الخلية فيقول :

« سبحان الله الخالق المصور القادر المانع الرزاق الوهاب . يتجلى فى خلقه ويفيض فى نعمائه ، ويربط بين مخلوقاته ، ويوثق الصلة بين موجوداته . وإذا تأملنا فى خلق الكائنات الحية — نباتاً أو حيواناً أو إنساناً — لمسنا وحدة الخلق ، ووجدناها جميعاً ترتبط ببعضها البعض ، وبالكون الذى تعيش فيه ، من حيث خصائص التكوين ومقومات الحيـاة .

فالشمس والنجوم تنشر الضوء وتشع الطاقة . والسماء تنزل الماء ، فيأخذ النبات من الماء والضوء والطاقة ما يونعه ، ويستخدم منها فى عمليات التمثيل الغذائى والأيض النباتى أو الإتلافى ما يثريه بالمواد الغذائية ويخلصه من المواد الضارة ، والحيوان يأخذ من النبات غذاء ، والإنسان يأخذ من النبات والحيوان غذاء وكساء ومنافع أخرى عدة . يقول الله تعالى :

(وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون . فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون) .

وإذا تأملنا مرة أخرى فى الكائنات الحية وجدنا أنها جميعا يتكون كل منها من وحدة — أو وحدات — بنائية تسمى الخلية . ور غماً عن أنه

قد تم التعرف حتى الآن على ما يقرب من ٤٠٠ ألف فصيلة نبات ، وضعف هذا العدد من فصائل الحيوان ، فإن خلايا جميع هذه الأنواع المتعددة لها الكثير من الصفات المتشابهة .

ويمكن التعبير عن تركيب مختلف أنواع الخلايا بما يسمى بالتركيب النموذجي ، إذ تتكون كل خلية من غشاء وسيتوبلازم ونواة . وكان يطلق اسم البروتوبلازم على كل المادة الحية فى الخلية ؛ إلا أنه بعد التعرف على العديد من المكونات أصبح لهذا الاسم أهمية تاريخية فقط . ويحتوى السيتوبلازم على دقائق عضوية مختلفة من بينها ما يسمى «الميتوكوندريا» و « الليزوزومات » و «الميكروزومات» و «السنتروزومات» كما يحتوى السيتوبلازم على قنوات دقيقة جداً تسمى قنوات الاندوبلازم ، وكذلك جسيمات جولجى .

والميتوكوندريا هى الدقائق العضوية التى تحدث عندها تفاعلات التأكسد فى الخلية ، أما الليزوزومات فهى مواقع عمليات التمثيل « التحلل المائى » بينما تكون البروتينات فى الميكروزومات ، وتساعد السنتروزومات عملية انقسام الخلية . وقد تبين من نتائج البحوث والدراسات المعملية أن القنوات الموجودة فى الخلية هى بمثابة أغشية داخلية تربط بين غشاء الخلية وغشاء نواة الخلية بينما تعمل جسيمات جولجى على تركيب غشاء الخلية . ويملأ الخلية فيما عدا الكائنات العضوية المشار إليها مواد غير حية مثل البروتينات والسكريات والليبيدات والأصباغ الملونة أما نواة الخلية فهى بيضاوية الشكل وتشغل حيزاً

صغيراً متكثفاً وهى مسئولة عن توريث خصائص الخلية الأم إلى الخنيه المتوالدة عنها .

وتحتوى النواة على نوية صغيرة وحبيبات صغيرة ، يطلق عليها اسم كروماتينات . ويعتقد أن النوية تسهم فى عملية التحكم فى تكون البروتينات .

التكوين الكيمائى لخلية نموذجية :

يتكون غشاء الخلية أساساً من مواد متراكبة من البروتينات والليبيدات تسمى « الليبوبروتين » أما السيتوبلازم فهو وسط شفاف يتراوح فى قوامه بين سائل رقيق إلى هلام جامد . ويحتوى جسيمات ميكرئية ، والميتوكوندريا غنية بالبروتين وبالليبيدات الفسفورية ، بينما تحتوى جسيمات جولجى على ليبيدات أصلا . ويتألف السكر الموجود فى الخلية من سكر الجليكوجين فى أغلب الخلايا . ويتكون البروتين الذى تحتويه الخلايا من فصيلة البروتينات النووية المعروفة « بالريبوز » ويتكون البروتوبلازم بصفة عامة من ٧٥٪ من وزنه أو أكثر ماء، كما يحتوى على الكلوريد والفوسفات والكبريتات ، وأيونات عناصر البوتاسيوم والصوديوم والمغنسيوم والكالسيوم ، وكذلك مركبات الكبريت وآثار بسيطة من النحاس والحديد والمنجنيز واليود ، وبالإضافة إلى إلى ذلك توجد فيه البروتينات والسكريات والليبيدات ويؤدى وجود مقادير كبيرة نسبياً من البروتين فى الخلية إلى اتخاذها صفات غروانية .

هذا كله يأتلف ويتجمع وينتظم فى الخلية وحدة كل كائن حى .

وما الخلية إلا جسيم صغير لا يرى إلا بالميكروسكوب . حقاً إنها من صنع الله القادر الخلاق . وما بالنا بطريقة تجمع هذه الخلايا وترابطها وانتظامها وتكاملها لتكوين الكائن الحى بمختلف فصائله وأصنافه وأنواعه . صدق الله العظيم فى قوله تعالى :

(يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ، وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير) .

ومما سبق يتبين لنا أن كثيراً من المركبات التى تدخل فى تكوين الخلية هى مواد كيميائية عادية يمكن تحضيرها بيسر فى المعمل وحفظها على رفوفه ولكن العجب أنها عندما تنتظم بأمر خالقها وتمتص مايكفيها من الطاقة تدب فيها الحياة .

إنها من لدن الخالق الواحد الأحد القيوم العزيز القدير .

وتتميز جميع الخلايا الحية بخصائص مشتركة — أيا كان مصدر هذه الخلايا — تميزها عن المادة غير الحية . ومن أهم هذه الخصائص أنها تقوم بنوع عمليات الأيض ، أى أنها تأخذ المواد الخام وتجرى عليها من التغيرات ما يلزم لتكوين مركبات الخلية . وكذلك ما تحتاجه من الطاقة

ثم تتخلص عن طريق عملية « إخراج » مناسبة من النفايات التى لا تحتاجها ، وهى عمليات كيميائية وحيوية معقدة وتصاحب عمليات الأيض عمليات تنفس مناسبة وتتميز الخلايا الحية كذلك بخاصتين أساسيتين هما « النمو » و « التكاثر » وعن طريقهما يتم حفظ النوع ، كما تعتبران صنوان للحياة فى الخلية .

ومن الصفات الهامة للخلية الحية أنها تتجاوب مع الظروف البيئية المحيطة بها إما بالتنافر والرفض ، أو بالملائمة ، وهذا أيضاً من مظاهر الحياة فى الخلايا وحتى النباتات التى تنمو تحت ظروف ثابتة خلافاً للحيوان الذى يتنقل من مكان إلى آخر — فإنها تلائم نفسها من البيئة بما يحفظ عليها الحياة . فنجد أن بعضها يمد أغصانه لتصل الماء ليعوض ما ينقصه عن طريق الجذور ، ومنها ما تتحرك لمواجهة مشرق الشمس لتمتص ما تحتاج من طاقة ، وعلى ذلك فيمكن القول إن الخلايا تمارس الحركة . هذا وفى حالات قليلة قد تحتفظ بعض الخلايا بصفة مؤقتة ببعض الصفات الحية وليس بكلها ، فمثلا يمكن تجميد بعض الفيروسات وبلورتها ، وبالتالى فإنها تبدو كما لو كانت غير حية ، ولكنها إذا ما غمرت فى وسط مناسب فإنها تنشط فتنمو وتتكاثر لتوها ، وتنشأ الفروق الخاصة بين خلية وأخرى من نوع آخر ، من اختلاف المركبات المكونة لها من حيث المقادير النسبية التى توجد عليها ، وسرعة تفاعلها مع بعضها ، والترتيب الهندسى لها ومواضعها فى الخلية ، فمثلا تحتوى الكرات الحمراء فى الإنسان على الهيموجلوبين الذى يشتمل على الحديد ... والهيموجلوبين هو الذى يساعد على نقل الأكسيجين

إلى الخلايا الأخرى فى الجسم . وتحتوى الخلايا السطحية للجلد على بروتينات غير قابلة للذوبان . ومن ثم فإنها تصلح كغشاء يضم الجسد ويزوده بالحماية ضد الضربات أو الصدمات ، وكذلك من أضرار التعرض للمواد الكيميائية . وتتشكل خلايا الأعصاب بما يلائمها لنقل النبضات والإشارات الكهرومغنطيسية . بينما تحتوى خلايا عضلات على مركبات تستطيع أن تتفاعل بحيث تحدث انكماشاً فى الخيوط النسيجية .

موت الخلايا :

إذا ماتت مادة حية ، فمعنى ذلك أنها توقفت عن القيام بأنشطتها التى تميز الحياة فيها ، ويدل ذلك على أن خلاياها فقدت صفاتها الذاتيـة من حيث التكوين والوظيفة ، إما لتغير جذرى فى أعدادها أو صفاتها أو فى مكوناتها البروتوبلازمية . وقد يكون هذا التحول نتيجة لدورة الحياة فى الخلية أو للغير فى الظروف المحيطة بها أو لكلا العاملين ، أو قد يكون بسبب عوامل أخرى مما يختلف حسب الأحوال . فمثلا يحدث للانسان أثناء حياته العادية أن تموت بعض خلاياه متحولة إلى مواد نافعة غير حية . فتتحول بعض الخلايا السطحية فى الجلد إلى أجزاء ميتة من الجلد أو الأظافر .

هذا وقد لوحظ حدوث تغيرات فى خلايا معينة فى جسم الإنسان نتيجة لتقدم السن . فمثلا لوحظ فى بعض الطاعنين فى السن أن خلايا الأعصاب وهى أطول خلايا الجسم عمراً — تحتوى أعداداً متزايدة من حبيبات الليبيدات نتيجة لتغيرات كيمائية مما يجعلها تفقد جزءاً من انتظام توزيعها مما يؤدى إلى تغيرات عصبية مختلفة فى مثل هذه الأحوال.

ويحدث لبعض خلايا أنسجة المفاصل أن يقل محتواها من بروتين الألبومين (زلال البيض) ويصاحب ذلك ترسب الكالسيوم مما يجعلها تفقد مرونتها كما يحدث لبعض خلايا العظام أن تموت فتترك العظام هشة . أما خلايا الغدد فتختلف درجات تغيرها مع السن .

ومن أظهر التغيرات أن غدد الأدرينال ترسب الكولاجين نتيجة لتلاشى بعض خلاياها . ويقل العدد الليمفوسيتى للدم بمرور السن ، كما تؤدى الزيادة فى رواسب الكولسترول داخل جدران الأوعية الدموية التى تصلها مما يؤدى إلى زيادة ضغط الدم وبالتالى إلى زيادة التعرض للجلطة الدموية ، ويحدث ذلك نتيجة لاضمحلال بعض الخلايا فى هذه الأوعية .

وبعد . فهذا بيان عن عظمة خالق الوجود تتجلى فى وحدة الحياة الحية والله هو واهبها ومشكلها ومنظمها فى شتى المخلوقات. سبحانه القادر العزيز المتعال .

(قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون) .

* * *

وبعد ، فمعذرة للقارىء إن كنا قد أطلنا فى إثبات هذه الحقائق العلمية لكنها توصلنا إلى حقيقة لا مراء فيها ، وإلى نتيجة لا يعتريها شك ولايشوبها ريب . إن هذه الحقيقة تؤكد أن الإنسان والنبات كل منهما يمثل حقيقة لا تختلف ، ويشترك كل منهما فى صفات لا تفترق . فإذا

كان النبات يحصد ثم يبذر فينبت مرة أخرى ، فأى مانع يمنع من إعادة الإنسان بعد فنائه ، وأى عقبة تحول دون ذلك ، إذا كنا قد علمنا أن المبدىء والمعيد هو الله الذى أثبت هذه الحقيقة فى قوله (والله أنبتكم من الأرض نباتاً . ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً) .

نعم . لقد أطلنا فى ذكر الحقائق العلمية التى أثبتت لنا بما لا يدع مجالا للشك وجوه الشبه القوية بين النبات والإنسان مما يؤكد لنا عظمة القرآن فى تعبيره عن خلق الإنسان بالإنبات . فلم يقل تعالى والله أنشأكم من الأرض إنشاءاً ، إنما قال (والله أنبتكم من الأرض نباتاً) ليضع أيدينا على حقيقة كبرى تنادينا بأعلى صوتها وتقول : لم تنكرون البعث بعد الموت ؟ وما وجه إنكار ذلك وأمامكم البعث يتحقق كل يوم وكل ساعة .

ألستم يا بنى آدم كنبات هذه الأرض ، ألست يا ابن آدم تضع الحبة فى ظلمات الأرض فتنمو ، كما تضع النطفة فى ظلمات الرحم فتنتقل من طور إلى طور . من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى جنين إلى طفل يأخذ طريقه فى الحياة ؟

(ما لكم لا ترجون لله وقاراً . وقد خلقكم أطواراً) .

ألست يا ابن آدم تحصد النبات إذا أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه تحصده بمناجلك ؟

أليس ملك الموت يحصدك عندما يبلغ الكتاب أجله ؟

(وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم

الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون . ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين) .

ألست يا ابن آدم تذهب بالنبات بعد استحصاده محمولا على ظهور الإبل والدواب إلى الأجران ؟ .

ألست يذهب بك بعد موتك محمولا على خشبة حدباء إلى أجران المقابر ؟ .

ألست يا ابن آدم تأتى بالنوارج لتدوس على النبات فتدرسه ؟ .

ألست يأتيك الدود فيدرسك فى أجران المقابر ؟ .

ثم تعال بعد ذلك . ألست تأخذ الحب الحصيد فتبذره فى الأرض فيخرج نباتاً مرة أخرى ؟ .

أليست هذه حقيقة ملموسة لا ينكرها من كان له أدنى تفكير ؟

ألم ينبت النبات بعد أن درسته النوارج ؟

فلماذا تستبعد بعثك بعد موتك ، وأنت تسير مع النبات طوراً بعد طور ، وحالة بعد حالة ، ومرحلة عقيب مرحلة ؟

إنه لا ينكر هذه الحقيقة إلا من سلب عقله فأصبح لا يميز بين الليل والنهار ، ولا يجادل فى هذه القضية إلا من وضع قلبه فى أكنة وفى آذانه وقر وعلى بصره غشاوة .

(وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا . الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعاً) .

(وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون) سبحانك ربى يا من قلت وقولك الحق :

(والله أنبتكم من الأرض نباتاً . ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا) .

يا من قلت وقولك الصدق (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السماوات والأرض وعشياً وحين تظهرون . يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون . ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون . ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون . ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين . ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون . ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون . وله من فى السماوات والأرض كل له قانتون . وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم) .

البعث حق

إن قضية البعث فى القرآن جاءت مقترنة بتوحيد الله والإيمان به .

من ذلك قوله تبارك وتعالى (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) وقوله جل شأنه (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) إلى غير ذلك من الآيات .

ولأهمية البعث نرى أن الله تبارك وتعالى يأمر نبيه ﷺ بالقسم فى ثلاثة مواضع ، وكلها فى البعث .

قال تعالى : (ويستنبئونك أحق هو ؟ قل إى وربى إنه لحق وما أنتم بمعجزين) .

ويقول تعالى : (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين) .

وقال جل جلاله (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير) .

من هنا نعلم أن الله تبارك وتعالى أكد هذه القضية توكيداً لا يحتمل أى لبس ولا غموض .

إن الله جل جلاله ينبه أصحاب الأذهان الغافلة والقلوب الجاحدة إلى ما رددده المنكرون من قبل فيقول (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعداً عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين . إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) .

وإذا كان القرآن الكريم قد تناول هذه القضية فى أعلى طبقات البلاغة والقوة ، فإنه يعرض للبعث فى أساليب غاية فى الجلال والجمال والعظمة .

وقد عرضنا مشهدا فى سورة الرعد حيث قدم القرآن الأدلة القاطعة على قدرة الله فى العالم العلوى والأرضى ، ثم عقب على ذلك بقضية البعث ، وألقى باللائمة على منكريها وجاحديها .

قال تعالى (وإن تعجب فعجب قولهم أإذا كنا تراباً أئنا لفى خلق جديد) .

وفى سورة ق يعرض القرآن للقضية ، ثم بعد ذلك يقيم الأدلة على القدرة الفائقة التى لا يقف أمامها شىء .

قال سبحانه (ق والقرآن المجيد . بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شىء عجيب . أإذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد).

يرد القرآن على هذه الدعوى رداً حاسما فيقول تعالى (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ . بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج) .

ثم يقيم الأدلة الباهرة فيقول سبحانه (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ، والأرض مددناها وألقينا فيها

رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصره وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج) .

فأنت ترى فى هذا المشهد القرآنى من سورة ق كيف سجل القرآن العظيم كلام المنكرين الجاحدين الذين ظنوا أن الرجع والإعادة والإحياء بعد الموت بعيد ، فأقام القرآن من الأدلة ما يثبت أن الإعادة أهون من البدء ، وأن الإيجاد بعد الفناء أيسر من الخلق من العدم .

(أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) .

ثم يسأل القرآن (أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها . رفع سمكها فسواها. وأغطش ليلها وأخرج ضحاها . والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال أرساها) .

ثم يجيب على هذا السؤال فى روعة وجلال (لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

ثم يبين أن الذين لا يعرفون هذا قوم أصيبوا بعمى القلوب وطمس البصيرة .

فيقول سبحانه (وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون) .

ثم يخلص من هذا إلى نتيجة تقرر أن البعث حق لا ريب فيه ، على الرغم من جحود الجاحدين فيقول جل جلاله (إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) .

وبعد أن يقيم القرآن أدلة القدرة الفائقة من رفع السماء وبسط الأرض : (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ، ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً) بعد ذلك يقيس البعث على هذه الآيات المشاهدة أمام العين التى لا ينكرها عاقل ولا يجحدها من رزق أدنى علم فيقول سبحانه فى كلمة موجزة عظيمة المعنى (كذلك الخروج) أى الخروج من القبر بعد الموت يوم البعث مثل ذلك . فكما أن ذلك الذى سبق ذكره واقع ومشاهد فالبعث مثله ، وكما أنكم لا تنكرون آيات الله فى كونه من سمائه إلى أرضه ، ومن عرشه إلى فرشه ، فإن العدل والمنطق يقتضيان منكم ألا تنكروا البعث بعد الموت ؛ إذ أن الذى أخبر عنه هو الله المحيي المميت ، المبدىء المعيد ، الضار النافع ، الخافض الرافع ، القابض الباسط ، الواجد الماجد ، الواحد القهار ، الملك القدوس ، السلام المؤمن ، المهيمن العزيز ، الجبار المتكبر ، الخالق البارىء ، المصور العزيز ، الحكم العدل ، الرزاق ذو القوة المتين ، الذى إذا أراد قضى المراد ، وإذا حكم فلا معقب لحكمه ، وإذا قضى فلا راد لقضائه .

وفى سورة النبأ وهو البعث ، يصدر القرآن هذه السورة الكريمة

بسؤال ثم يجيب عنه ، ويعرض بعد ذلك الأدلة على القدرة الفائقة ، ثم يعقب بالنتيجة ، كل هذا فى سلك فريد ، وعقد نظيم ، يأخذ بالألباب ويدهش العقول لعظمته .

اقرأ قول الله جل جلاله :

(عم يتساءلون . عن النبأ العظيم . الذى هم فيه مختلفون . كلا سيعلمون . ثم كلا سيعلمون . ألم نجعل الأرض مهاداً . والجبال أوتاداً ، وخلقناكم أزواجاً . وجعلنا نومكم سباتاً . وجعلنا الليل لباساً . وجعلنا النهار معاشاً . وبنينا فوقكم سبعاً شداداً . وجعلنا سراجاً وهاجاً . وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً . لنخرج به حباً ونباتاً . وجنات ألفافاً) .

ثم يخلص إلى النتيجة بعد ذلك فى جلاء ووضوح فيقول سبحانه : (إن يوم الفصل كان ميقاتاً . يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجاً) .

كل هذا يدور فى فلك السورة الكريمة التى تعرض للقضية فى جلاء ووضوح وقوة وحزم (إن يوم الفصل كان ميقاتاً) .

ويؤكد هذا المعنى فى قوله (إن هؤلاء ليقولون . إن هى إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين . فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين) .

ويرد القرآن على هذا الإنكار فيقول :

(أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين . وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين . ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون . إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين . يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون . إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم) .

جدد السفينة فإن البحر عميق

ويحسن بنا ونحن أمام الوعد الحق ، والبعث بعد الموت ، أن نسلك بك أيها القارىء إلى طريق النجاة ، ماذا أعددت من زاد ليوم المعاد ؟

صم عن الدنيا ، وأفطر على الموت ، وأعد الزاد لليلة صبحها يوم القيامة .

وخير الزاد التقوى ، وما كان عليه سيد الأتقياء محمد ﷺ من الخلق الكريم ، والقلب الرحيم .

اسمع إلى هذه الوصايا الغوالى ، وإلى تلك النصائح العوالى :

عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا الله ، ومن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار » .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان وطعمه : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب فى الله ويبغض فى الله ، وأن توقد نار عظيمة فيقع فيها أحب إلى الله من أن يشرك بالله شيئاً » رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن

الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى » رواه مسلم .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من سره أن أن يجد حلاوة الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله » رواه الحاكم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجل قلبه معلق فى المساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إنى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه » رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما تحاب رجلان فى الله إلا كان أحبهما إلى الله عز وجل أشدهما حباً لصاحبه » رواه الطبرانى وأبو يعلى .

وعن أبى إدريس الخولانى قال : دخلت مسجد دمشق فإذا فتى براق الثنايا وإذا الناس معه ، فإذا اختلفوا فى شىء أسندوه إليه ، وصدروا عن رأيه فسألت عنه فقيل : هذا معاذ بن جبل ، فلما كان من الغد هجرت فوجدته قد سبقنى بالتهجير ، ووجدته يصلى ، فانتظرته حتى قضى صلاته ، ثم جئته من قبل وجهه فسلمت عليه ثم قلت له : والله إنى لأحبك لله ، فقال : آلله ؟ فقلت : آلله . فقال

آلله ؟ فقلت : آلله . فأخذ بحبوة ردائى فجذبنى إليه ، فقال : أبشر فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله تبارك وتعالى : وجبت محبتى للمتحابين فى ، وللمتجالسين فى ، وللمتباذلين فى » رواه مالك بإسناد صحيح وابن حبان فى صحيحه .

وعن أبى مسلم قال : قلت لمعاذ : والله إنى لأحبك لغير دنيا أرجو أن أصيبها منك ، ولا قرابة بينى وبينك . قال : فلا شئ ؟ قلت : لله . قال : فجذب حبوتى ثم قال : أبشر إن كنت صادقاً ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « المتحابون فى الله فى ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله ، يغبطهم بمكانهم النبيون والشهداء » .

قال : ولقيت عبادة بن الصامت فحدثته بحديث معاذ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول عن ربه تبارك وتعالى « حقت محبتى على المتحابين فى ، وحقت محبتى على المتناصحين فى ، وحقت محبتى على المتباذلين فى ، هم على منابر من نور ، يغبطهم النبيون والشهداء والصديقون » رواه ابن حبان فى صحيحه .

وروى الترمذى حديث معاذ فقط ، ولفظه : سمعت رسول الله ﷺ يقول « قال الله عز وجل : المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء » وقال : حسن صحيح .

وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يأثر عن ربه تبارك وتعالى يقول « حقت محبتى للمتحابين فى ،

وحقت محبتى للمتواصلين فى ، وحقت محبتى للمتزاورين فى ، وحقت محبتى للمتباذلين فى ، رواه أحمد بإسناد صحيح .

وعن شرحبيل بن السمط أنه قال لعمرو بن عبسة : هل أنت محدثى حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ ليس فيه نسيان ولا كذب ؟ قال : نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله عز وجل : قد حقت محبتى للذين يتحابون من أجلى ، وقد حقت محبتى للذين يتزاورون من أجلى ، وقد حقت محبتى للذين يتباذلون من أجلى ، وقد حقت محبتى للذين يتصادقون من أجلى » رواه أحمد .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إن لله جلساء يوم القيامة عن يمين العرش وكلتا يدى الله يمين ، على منابر من نور وجوههم من نور ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ولا صديقين ، قيل يا رسول الله : من هم ؟ قال : هم المتحابون بجلال الله تبارك وتعالى » رواه أحمد .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن من عباد الله عباداً ليسوا بأنبياء يغبطهم الأنبياء والشهداء . قيل : من هم لعلنا نحبهم ؟ قال هم قوم تحابوا بنور الله من غير أرحام ولا أنساب ، وجوههم نور ، على منابر من نور . لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس . ثم قرأ : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ، رواه النسائى وابن حبان فى صحيحه .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله

عباداً يجلسهم يوم القيامة على منابر من نور يغشى وجوههم النور ، حتى يفرغ من حساب الخلائق » رواه الطبرانى بإسناد جيد .

وعن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله عز وجل : المتحابون بجلالى فى ظل عرشى يوم لا ظل إلا ظلى » رواه أحمد بإسناد جيد .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ليبعثن الله أقواماً يوم القيامة فى وجوههم النور ، على منابر اللؤلؤ ، يغبطهم الناس ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء . قال فجثا أعرابى على ركبتيه فقال يا رسول الله جلهم لنا نعرفهم . قال : هم المتحابون فى الله من قبائل شتى وبلاد شتى ، يجتمعون على ذكر الله يذكرونه » رواه الطبرانى .

وعن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ، ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله . قالوا يا رسول الله ، فخبرنا من هم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها ، فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعلى نور ، ولا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس . وقرأ هذه الآية (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) » . رواه أبو داود .

وعن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « يا أيها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا أن لله عز وجل عباداً ليسوا

بأنبياء ، ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء على منازلهم وقربهم من الله ، فجثا رجل من الأعراب من قاصية الناس ، وألوى بيده إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ناس من الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله انعتهم لنا ، جلهم لنا — يعني صفهم لنا — فسر وجه النبي ﷺ بسؤال الأعرابي ، فقال رسول الله ﷺ : هم ناس من أفناء الناس ، ونوازع القبائل ، لم تصل بينهم أرحام متقاربة ، تحابوا في الله ، وتصافوا ، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور ، فيجلسون عليها ، فيجعل وجوههم نورا وثيابهم نوراً ، يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون ، وهم أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » رواه أحمد وأبو يعلى بإسناد حسن .

وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن في الجنة لعمداً من ياقوت عليها غرف من زبرجد ، لها أبواب مفتحة ، تضيء كما يضيء الكوكب الدري .

قال : قلنا يا رسول الله : من يسكنها ؟ قال : المتحابون في الله ، والمتباذلون في الله ، والمتلاقون في الله » رواه البزار .

وروى عن بريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن في الجنة غرفاً ترى ظواهرها من بواطنها وبواطنها من ظواهرها ، أعدها الله للمتحابين فيه ، والمتزاورين فيه ، والمتباذلين فيه » رواه الطبراني في الأوسط .

وروى عن معاذ بن أنس رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ عن أفضل الإيمان ؟

قال : أن تحب لله ، وتبغض لله ، وتعمل لسانك فى ذكر الله .

قال : وماذا يارسول الله ؟

قال : وأن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك » رواه أحمد .

وعن عمرو بن الجموح رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول : « لا يجد العبد ضريح الإيمان حتى يحب لله تعالى ، ويبغض لله ، فإذا أحب لله تبارك وتعالى ، وأبغض لله ، فقد استحق الولاية لله تعالى » رواه أحمد والطبرانى ، وفيه رشيد بن سعد .

وعن معاذ بن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من أعطى لله ، ومنع لله ، وأحب لله ، وأبغض لله ، وأنكح لله ، فقد استكمل إيمانه » رواه أحمد والترمذى .

وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : كنا جلوساً عند النبى ﷺ فقال : « أى عرى الإسلام أوثق ؟ قالوا : الصلاة . قال : حسنة ، وما هى بها . قالوا : صيام رمضان . قال : حسن وما هو به . قالوا : الجهاد . قال : حسن وما هو به . قال : إن أوثق عرى الإيمان أن تحب فى الله ، وتبغض فى الله » رواه أحمد والبيهقى .

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أفضل الأعمال الحب فى الله ، والبغض فى الله » رواه أبو داود .

وعن أنس رضى الله عنه أن رجلا سأل رسول الله ﷺ : « متى الساعة ؟ قال : وما أعددت لها؟ قال : لا شىء إلا أنى أحب الله ورسوله .

قال : أنت مع من أحببت . قال أنس : فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ : أنت مع من أحببت . قال : أنس : فأنا أحب النبي ﷺ ، وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم » رواه البخارى ومسلم .

وقد جاء فى الحكمة للامام على الرضا رضى الله عنه :

من نازع الأفيال فى أمرهم ... بات بعيد الرأس عن جثته
من لاعب الثعبان فى كفه ... هيهات أن يسلم من لسعته
من عاشر الأحمق فى حاله ... كان هو الأحمق فى عشرته
لا تصحب النذل فتردى ... لا خير فى النذل ولا صحبته
من اعتراك الشك فى جنسه ... وحاله فانظر إلى شيمته
من غرس الحنظل لا يرتجى ... أن يجتنى السكر من غرسته
من جعل الحق له ناصراً ... أيده الله على نصرته . .

وفى رواية للبخارى : أن رجلا من أهل البادية أتى النبى ﷺ فقال يا رسول الله : « متى الساعة قائمة ؟ قال : ويلك وما أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها إلا أنى أحب الله ورسوله . قال : إنك مع من أحببت . قال : ونحن كذلك ؟ قال : نعم . ففرحنا يومئذ فرحاً شديداً » .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله : « كيف ترى فى رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم ؟ فقال رسول الله ﷺ : المرء مع من أحب » رواه البخارى ومسلم .

وعن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال : يا رسول الله « الرجل يحب

القوم ولا يستطيع أن يعمل بعملهم . قال أنت يا أبا ذر مع من أحببت . قال : فإنى أحب الله ورسوله . قال : فإنك مع من أحببت . قال : فأعادها أبو ذر ، فأعادها رسول الله ﷺ » رواه أبو داود .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول : « لا تصاحب إلا مؤمناً ، ولا يأكل طعامك إلا تقى » . رواه ابن حبان فى صحيحه .

وعن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاث هن حق : لا يجعل الله من له سهم فى الإسلام كمن لا سهم له ، ولا يتولى الله عبداً فيوليه غيره . ولا يحب رجل قوماً إلا حشر معهم » رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط بإسناد جيد .

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة أحلف عليهن . لا يجعل الله من له سهم فى الإسلام كمن لا سهم له ، وأسهم الإسلام ثلاثة : الصلاة والصوم والزكاة . ولا يتولى الله عبداً فى الدنيا فيوليه غيره يوم القيامة ، ولا يحب رجل قوماً إلا جعله الله معهم » الحديث رواه أحمد بإسناد جيد .

وعنها رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « الشرك أخفى من دبيب الذر على الصفا فى الليلة الظلماء ، وأدناه أن تحب على شىء من الجور وتبغض على شىء من العدل ، وهل الدين إلا الحب والبغض . قال الله عز وجل : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) » رواه الحاكم .

ثمـــرات الحـــب فى الله

أولا : يتذوق حلاوة الإيمان ، فيسرى بجسمه النور المحمدى ، ويتغذى بلبان الإسلام ، فيحيا حياة السعداء .

ثانياً : يحيطه الله برحمته ، ويقيه عاديات شدائد يوم القيامة .

ثالثاً : يجلب له الأمن والسرور ، ويعد فى مصاف السبعة الذين يظلهم برضوانه وإحسانه .

رابعا : شجرة إيمانه مورقة مزهرة مباركة كاملة .

خامساً : دليل على زيادة محبة الله ورسوله .

سادساً : برهان القبول وعنوان التوفيق .

سابعاً : زيادة درجات فى الجنة بجوار منازل الأبرار .

ثامناً : قلوبهم مطمئنة آمنة من الأهوال ، تتلألأ وجوههم نوراً وسروراً .

تاسعاً : عروة الإيمان الوثقى من تمسك بها نجا .

عاشراً : بشائر الأعمال الصالحة الموصلة إلى قبول الله المشوبة بالإخلاص لله الدالة على الهداية والنجاح .

الحادى عشر : يحشر مع الصالحين .

الثانى عشر : سلوك حسن ، وصحبة نافعة ، وسيرة طيبة ، ونية صالحة ، وعيشة سعيدة .

الثالث عشر : له نصيب فى الخير وسهم فى الأجر .

الرابع عشر : يدل على كمال الدين وصفاء السريرة ، والعمل المتقن ، وخوف الله ، ورعاية جانبه، واحترام كتابه ، وحب سنة حبيبه ﷺ .

الخامس عشر : لا يتسرب إلى من يحب لله الإشراك بالله ، لأنه يأمن عواقب أعماله ، ويضمن إخلاصه ، ويسلم من شوائب الإلحاد .

• اكثر من الـزاد فإن السفر طويـل

نعم إن السفر طويل ، فصم عن الدنيا ومعاصيها ، وأفطر على الموت . وأعد الزاد لليلة صبحها يوم القيامة .

ما أطول السفر . لأنه فى عالم البرزخ . وما وراء البرزخ أعنف من أن يمخر عبابه سباح ماهر .

(فإذا نفخ فى الصور نفخة واحدة . وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة . فيومئذ وقعت الواقعة . وانشقت السماء فهى يومئذ واهية. والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية . يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية . فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه . إنى ظننت أنى ملاق حسابيه . فهو فى عيشة راضية . فى جنة عالية . قطوفها دانية . كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية . وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه . ولم أدر ما حسابيه . ياليتها كانت القاضية . ما أغنى عنى ما ليه . هلك عنى سلطانيه . خذوه فغلوه . ثم الجحيم صلوه . ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه . إنه كان لا يؤمن بالله العظيم . ولا يحض على طعام المسكين . فليس له اليوم هاهنا حميم . ولا طعام إلا من غسلين . لا يأكله إلا الخاطئون) .

صدقت يارب العزة ، وبلغ رسولك .

أخا الإسلام :

أعد قراءة هذا المشهد مرة ومرة ، فإنه يصور لك بكل دقة مدى طول السفر ، ويشرح لك بتفصيل ما سوف يجرى علينا ونحن فى عالم البرزخ .

أرض تدك بالجبال ، وسماء تنشق وتنفطر ، وجنة تنادى على أحبابها ، وجحيم تسعر لأعداء الله .

فاستعدوا لأهوال القيامة يا أولى العقول والألباب ، وانشدوا :

مثـل لقلبـك أيهـا المغـرور ... يوم القيامة والسماء تمـور
قد كورت شمس النهار وضعفت ... حراً على رأس العباد تفور
وإذا الجبال تعلقت بأصولهـا ... فرأيتها مثـل السحاب تسير
وإذا النجوم تساقطت وتناثرت ... وتبـدلت بعد الضياء كدور
وإذا العشار تعطلت عن أهلها ... خلت الديار فما بها معمـور
وإذا الوحوش لدى القيامة أحضرت
وتقـول للأمـلاك أين نسـير
فيقال سيروا تشهدون فضائحاً ... وعجائباً قد أحضرت وأمور
وإذا الجنـين بأمـه متعـلق ... خوف الحساب وقلبه مذعور
هـذا بلا ذنب يخـاف لهـوله ... كيف المقيم على الذنوب دهور

أخا الإسلام :

هلا أكثرت من الزاد لطول السفر ؟

أو لم تسمع قول رسول الله ﷺ : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزىء بربه ، ومن آذى مسلما كان عليه من الذنوب مثل منابت النخل » ؟

وفى الحديث : « الندم توبة » .

وقد سئل الحسن البصرى رضى الله عنه عن التوبة النصوح فقال : هى الفزع بالقلب ، والاستغفار باللسان ، والترك بالجوارح ، والإضمار على أن لا يعود .

وسمع سيدنا على ، رضى الله عنه أعرابياً يقول : اللهم إنى استغفرك وأتوب إليك، فقال يا هذا إن سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين. فقال: وما التوبة ؟ قال : إن التوبة يجمعها ستة أشياء : على الماضى من الذنوب الندامة ، وللفرائض الإعادة ، يعنى القضاء ، ورد المظالم ، واستحلال الخصوم ، وأن تعزم على أن لا تعود ، وأن تذيب نفسك فى طاعة الله كما ربيتها فى معصيته ، وأن تذيقها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعاصى .

والتوبة بصفتها المذكورة هى المنجية لصاحبها من العقاب .

يشهد لذلك قوله عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه ابن عساكر عن أنس : « إذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه ، وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقى الله تعالى وليس عليه من الله شاهد بذنب » .

أخا الإسلام :

ما فى الحيـــاة بقـــــاء ما فى الحيـــاة ثبـــوت
نبنى البيـــوت وحـــتما تنهـــار تـــلك البيـــوت
تمـــوت كل الـــبرايا سبحان من لا يمـــــوت

دخل أبو حازم على سليمان بن عبد الملك حين ولى الخلافة فقال : يا أبا حازم ما لنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم عمرتم دنياكم وخربتم آخرتكم ، فأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب . قال : فأخبرنى كيف القدوم على الله ؟ فقال : يا أمير المؤمنين : أما المحسن فيقدم على الله كالغائب يقدم على أهله ، وأما المسىء فيقدم على الله كالعبد الآبق لسيده ، يأتى مولاه خائفاً حزيناً .

قال : فأى الأعمال أفضل ؟ قال : أداء الفرائض واجتناب المحارم ، قال : فأى الدعاء أفضل ؟ قال : دعاء الملهوف لمن أحسن إليه . قال : فأى الصدقة أوفى ؟ قال : أن لا تعلم يسراه ما أنفقت يمينه . قال : فأى القول أفضل ؟ قال : كلمة حق عند من يخاف . قال : فأى الناس أعدل ؟ قال : من عمل بطاعة الله ، ودل الناس عليها . قال : أى الناس أجهل ؟ قال : من باع آخرته بدنياه . قال : عظنى وأوجز . قال : نزه ربك وعظمه أن يراك حيث نهاك ؛ أو يفقدك حيث أمرك .

فبكى الأمير . فقال رجلى من جلسائه : أبكيت أمير المؤمنين أو أحزنته . فقال : قد أخذ الله الميثاق على الأنبياء لتبيننه للناس ولا تكتمونه. ثم خرج فبعث إليه بحلى ، فرده ، وقال لا أرضاه لكم ، فكيف آخذه منكم . اهـ .

جملة من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم

من وصايا رسول الله ﷺ ما ورد عن أنس رضى الله عنه قال : أوصانى رسول الله ﷺ فقال لى : « أسبغ الوضوء يزد فى عمرك ، وسلم على من لقيت تكثر حسناتك ، وإذا دخلت على أهل بيتك فسلم يكثر خير بيتك ، وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأوابين قبلك ، وارحم الصغير ، ووقر الكبير ، تكن من رفقائى يوم القيامة » .

ومن وصاياه ﷺ لأبى ذر : « أحكم السفينة فإن البحر عميق ، واستكثر الزاد فإن السفر طويل ، وخفف ظهرك فإن العقبة كئود ، وأخلص العمل فإن الناقد بصير » .

ومن وصاياه ﷺ ما ورد عن أبى ذر أيضاً ، قال : « أوصانى خليلى محمد ﷺ بثلاث ، قال : « اسمع وأطع ولو لعبد مجذوع ، وإذا صنعت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر إلى أهل بيت جيرانك فأصبهم بمغرفتك ، وصل الصلاة لوقتها » .

ومن وصاياه ﷺ ما ورد عن أبى ذر رضى الله عنه أيضاً قال : « أوصانى خليلى ﷺ بسبع لم أتركهن ولا أتركهن : أوصانى بحب المساكين والدنو منهم ، وأن أنظر إلى من هو أسفل منى ولا أنظر إلى من هو فوقى ، وأن أصل رحمى ، وإن أدبرت وقطعت ، وأن استكثر من قول : لا إله إلا الله فإنها كنز من كنوز الجنة ، وأن لا أسأل الناس شيئاً ، وأن لا أخاف فى الله لومة لائم ، وأن أقول الحق وإن كان مراً » .

ومن وصاياه ﷺ ما ورد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « أوصانى خليلى ﷺ بثلاث : بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتى الضحى ، وأن أوتر قبل أن أرقد » .

وعن أبى هريرة أيضاً : « علمنى رسول الله ﷺ ثلاث خصال ، لا أدعهن حتى أموت : لا أنام إلا على وضوء ، وأن أصوم كل شهر ثلاثة أيام ، وأن لا أدع صلاة الضحى » .

ومن وصاياه ﷺ قوله لعائشة : « إن أردت اللحوق بى فليكفك من الدنيا كزاد الراكب ، وإياك ومجالسة الأغنياء ، ولا تستخلقى ثوباً حتى ترقعيه » .

ومن وصاياه ﷺ ما ورد عن أنس رضى الله عنه قال : « خدمت النبى ﷺ وأنا ابن ثمان سنين ، فكان أول ما علمنى أن قال : أحكم وضوءك لصلاتك يحبك حفظتك، ويزد فى عمرك ، يا أنس يا بنى اغتسل من الجنابة وبالغ فيه ، فإن تحت كل شعرة جنابة ، قال قلت : يا رسول الله كيف أبالغ فيها ؟ قال : يا أنس أدلك جميع بدنك ، وأفض الماء حتى يبلغ إلى جميع بشرتك ، ورد أصول الشعر ، وأنق بشرتك تخرج من مغتسلك وقد غفر ذنبك . يابنى لا يفوتنك ركعتا الضحى فإنها صلاة الأوابين ، وأكثر الصلاة بالليل والنهار فإنك ما دمت فى الصلاة فإن الملائكة يصلون عليك ، يا أنس إذا قمت إلى الصلاة فانصب نفسك لله تعالى ، وإذا ركعت فاجعل راحتيك على ركبتيك وفرج بين أصابعك وارفع عضديك عن جنبك . وإذا رفعت

رأسك فقم حتى يعود كل عضو إلى مكانه ، وإذا سجدت فألزق وجهك بالأرض ولا تنقر نقر الغراب ، ولا تبسط ذراعيك بسط الثعلب ، وإذا رفعت رأسك من السجود فلا تقع كما يقعى الكلب ، وضع إليتك بين قدميك وألزق ظاهر قدميك بالأرض ، فإن الله تعالى لا ينظر إلى صلاة لا يتم ركوعها وسجودها . وإن استطعت أن تكون على الوضوء فى يومك وليلتك فافعل فإنه إن يأتك الموت وأنت على ذلك لم تفتك الشهادة .

يا أنس إذا دخلت بيتك فسلم على أهل بيتك تكثر بركتك وبركة بيتك ، فإذا خرجت لحاجة فلا يقعن بصرك على أحد من أهل قبلتك إلا سلمت عليه تدخل حلاوة الإيمان فى قلبك ، وإن أصبت ذنباً فى مخرجك رجعت وقد غفر لك .

يا أنس لا تبيتن ليلة ، ولا تصبحن يوما ، وفى قلبك غش لأحد من أهل الإسلام ، فإن هذا من سنتى ، ومن أخذ سنتى فقد أحبنى ، ومن أحبنى فهو معى فى الجنة .

يا أنس : إذا عملت هذا وحفظت وصيتى فلا يكون شىء أحب إليك من الموت فإن فيه راحتك » .

* * *

ومن وصاياه ﷺ قوله لمعاذ بن جبل « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » .

ومن وصاياه ﷺ ما روى عن العرباض بن سارية رضى الله عنه ،

قال : « وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون . فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع ، فأوصنا . قال : أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة » .

ومن وصاياه ﷺ ما روى عن معاذ بن جبل قال : « قلت يا رسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار . قال : لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه : تعبد الله لا تشرك به شيئاً . وتقيم الصلاة . وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت .

ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، وصلاة الرجل فى جوف الليل . ثم تلا (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) حتى بلغ (يعملون) .

ثم قال : ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ قلت : بلى يا رسول الله . قال : رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد .

ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت : بلى يا رسول الله . فأخذ بلسانه ، وقال : كف عليك هذا . قلت : يا رسول الله ، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك ، وهل يكب الناس فى النار على وجوههم — أو قال : على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم » ؟

ومن وصاياه ﷺ لبعض أهله : « لا تشرك بالله شيئاً ، وإن قطعت أو حرقت ، ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمداً فإنه من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله ، وإياك والمعصية ، فبالمعصية يحل سخط الله » .

ووصاياه ﷺ ونصائحه لا تحيط بها الدواوين ، ولا تستقصيها أقلام الكاتبين .

وقد سار على ذلك النهج القويم والصراط السوى المستقيم ، الصحابة والتابعون ، والعلماء الأجلة العاملون . فكم بذلوا للخلق من النصح الأتم ، وكم حضوا على ما فيه النفع الأعم .

أخلص العمل فإن الناقد بصير

كتب الإمام الغزالى رضى الله عنه . إلى الشيخ أبى الفتح بن سلامة :

قرع سمعى أنك تلتمس منى كلاماً وجيزاً فى معرض النصح والوعظ وإنى لست أرى نفسى أهلا له ، فإن الوعظ زكاة نصابها الاتعاظ ، فمن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة ، وفاقد النور كيف يستنير به غيره؟ ومتى يستقيم الظل والعود أعوج ؟

وقد أوصى الله تعالى عيسى بن مريم عليه السلام : « يا ابن مريم عظ نفسك ، فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستح منى » .

وقال بعض العارفين : من علم فليعمل ، ومن جهل فليسأل ، فاليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل ، والعلم إمام والعمل تابعه ، ومن لم يمش على الجادة ولا سلك بنفسه سبيل الاستقامة كيف ينصح سواه ويعظ غيره ؟ وإن نصح أو وعظ لا تنفع موعظته ، ولا تقبل نصيحته فقلما ينتفع بوعظ الواعظ ، ونصح الناصح إذا لم يكن متصفاً بنفسه بالصفات الجيدة المرضية التى ندب الشارع إليها وحض عليها ، فالموعظة إذا خرجت من القلب وقعت فى القلب .

وقد علق الشارع الوعيد الشديد على من أمر بالمعروف ولم يفعله ، أو نهى عن المنكر وفعله .

ومن صفاته عليه الصلاة والسلام أنه كان لا يأمر بشىء إلا كان أول آخذ به ، ولا ينهى عن شىء إلا كان أول تارك له .

وقال تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ؟) روى انها نزلت فى اليهود كانوا يحضون على الصدقة ويبخلون .

وفى الآية وعيد شديد لمن اتصف بصفاتهم وفعل مثل فعلهم .

(أفلا تعلقون) توبيخ عظيم وتشنيع ذميم .

والمعنى : أفلا تفطنون لقبيح ما ارتكبتم وشنيع ما تعاطيتم ؟ كأنه جعلهم مسلوبى العقول ، لأن العقل يأبى هذا .

وقال البزار عن أبى برزة إن النبى ﷺ قال : « مثل الذى يعلم الخير للناس وينسى نفسه ، مثل الفتيلة تضىء على الناس وتحرق نفسها » .

وفى رواية للطبرانى « كمثل السراج يضىء للناس ويحرق نفسه » .

وقال عليه الصلاة والسلام « من أراد أن ينصب نفسه إماماً ، فعليه بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ، ومؤدب نفسه ومعلمها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم » .

وقد حكى أن رجلا كان يجلس قريبا من محمد بن واسع ، فسمعه ابن واسع يوماً يعظ أصحابه ويوبخهم وهو يقول « مالى أرى القلوب لا تخشع ؟ ومالى أرى العيون لا تدمع ؟ والجلود لا تقشعر ؟

فقال له ابن واسع : يا عبد الله ما أرى القوم أتوا إلا من قبلك ، إن الذكر إذا خرج من القلب استقر فى القلب .

وقيل لحمدون القصار : ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا ؟

قال : لأنهم تكلموا لعز الإسلام ، ونجاة النفوس ، ورضا الرحمن ، ونحن نتكلم لعز النفس ، وطلب الدنيا ؛ وقبول الخلق .

كلمة حق خالدة

قال الله تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) .

ويقول عز من قائل (إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور) .

ويقول تبارك اسمه (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً) .

ويقول سيدنا رسول الله ﷺ « اثنان إذا صلحا صلحت الأمة ، وإذا فسدا فسدت الأمة : العلماء والأمراء » .

وها هو ذا التاريخ المجيد ، تاريخ الإسلام الخالد ، يحدثنا عن رجل من رجالات الأمر بالمعروف الذين إذا قالوا فإنما يضعون أرواحهم على أكفهم رخيصة فى أسواق الشهادة .

وهذا الرجل لم يقف التاريخ على اسمه ولكنه دخل التاريخ من أشرف أبوابه وأوسعها .

وما أكثر هؤلاء الجنود المجهولين الذين وقفوا المواقف الجليلة الجديرة بأن تسجل بحروف الذهب على صفحات النور .

ولندع الحقائق تكلمنا ، ولنصغ إلى صوتها فى خشوع وأدب .

روى أن عبد الملك بن مروان خطب يوماً ، فلما انتهى إلى موضع الوعظ فأحسن كل الإحسان إليه ، قام رجل من الحاضرين فقال : إنكم أيها الملوك تأمرون فلا تأتمرون ، وتنهون ولا تنتهون . أفنقتدى بسيرتكم فى أنفسكم ؟ أم نطيع أمركم بألسنتكم ؟ فإن قلتم اقتدوا بسيرتنا فى أنفسنا فأنى ؟ وكيف ؟ وأين المضير من الله ؟ وما الحجة غداً بين يديه ؟ وإن قلتم أطيعوا أمرنا واقبلوا نصيحتنا ، فكيف ينصح من يغش نفسه ؟ وإن قلتم خذوا الحكمة حيث وجدتموها ، واقبلوا الموعظة ممن سمعتموها ، فعلام قلدناكم أزمة أمورنا ، وحكمناكم فى دمائنا وأموالنا ؟.

الصدق فى القول والإخلاص فى العمل

إذا ذكر اسم سفيان الثورى تدانت المعانى الجليلة ، والخصال النبيلة إلى ذهن ذاكره . فاسم سفيان مقارن للزهد والورع ، والإخلاص والتقوى والنقاء .

أليس هو الرجل الذى ملأ طباق الأرض علماً وزهداً ؟

أليس هو القوام الصوام ، الذى رآه أحدكم فى المنام بعد موته فقال له كيف حالك يا أبا سعيد ، فأنشد قائلا :

نظرت إلى ربى كفاحاً فقال لى
هنيئاً رضائى عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواماً إذا أظلم الدجى
بمهجة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر أى قصر أردته
وزرنى فإنى منك غير بعيد

بماذا حدثنا التاريخ عن هذا الإمام الجليل ، وماذا حدث له وهو يخطب المسلمين ذات يوم ؟

استمع يا أخى بأذن قلبك . لقد رووا أن سفيان الثورى رحمه الله ، كان يعظ الناس ويشوقهم إلى الله تعالى ، ويرغبهم فى ثوابه ، ويحذرهم من عقابه . وكان الناس يتوافدون عليه . فصعد يوماً منبره على عادته ،

فلما استقر به الجلوس وأراد أن يتكلم ، رفعت إليه امرأة رقعة ، فلما رآها تغير لونه وبكى بكاء شديداً ثم نزل ولم يتكلم . فسأله أصحابه ومن يعز عليه ، أن يخبرهم بما فى الرقعة ، فقرأها عليهم فإذا فيها مكتوب :

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم ؟
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى
كيما يصح به وأنت سقيم
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا
أبداً وأنت من الرشاد عديم
فابدأ بنفسك وانهها عن غيها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويقتدى
بالقول فيه وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتى مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم

فلما قرأ ذلك بكى بكاء شديداً حتى أغمى عليه ، فلما أفاق ، قالوا له ياسيدى إن كلامك موزون ، وعرضك مصون تشفى القلوب بوعظك ، وتسلى المحزون ، فكيف يؤثر فى قلبك هذا الكلام ؟ وأنت إمام وأى إمام ! ! فبكى . وقال : أنا ما أصلح أن أتكلم على رؤوس الناس . فأنا أعرف بنفسى من غيرى . ثم فاضت عيناه واشتغل بوجده وجداه . وما عاد أحد بعد ذلك اليوم يسمعه أو يراه حتى مات رحمه الله .

ولله در القائل فى هذا المعنى :

مواعظ الواعظ لن تقبـل حتى يعيها قلبـــه أولا
يا قوم من أظلم من واعـظ خالف ما قد قاله فى الملا
أظهـــر للعـــالم إحسانه وخالف الرحمن لما خلا

اللهم إنا نعوذ بك من قلب لا يخشع ، وعمل لا يرفع ، ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع .

وقال أبو العتاهية :

يا واعظ الناس قد أصبحت متهماً
إذ عبت منهم أموراً أنت تأتيها
كملبس الثوب من عرى وعورته
للنـاس بادية ما إن يواريهـا
وأعظم الإثم بعـد الشرك تعلمه
فى كل نفس عماها عن مساويها
عرفناها بعيوب الناس تبصرهـا
منهم ولا تبصر العيب الذى فيها
تعيب دنيا وناساً عاملين لهـــا
وأنت أكثر منهم رغبـة فيهـا

يرحم الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى اتخذ له شعاراً خالداً يقول فيه : رحم الله امرءاً أهدى إلى عيوبى .

صدقت يا فاروق هذه الأمة ، فإن صديقك هو من يَصْدُقُكَ ، لا من يُصَدِّقُكَ ، وإن صديقك هو الذى يبصرك بعيبك .

* * *

أخا الإسلام :

إذا عبت أمراً فـلا تأتـه
وذو اللب مجتنب مـا يعيب

قال أحد الحكماء :

ما أقبح الزّهيد من زاهد يزهـد النـاس ولا يزهد
لو كان فى تزهيده صـادقاً أضحى وأمسى بيته المسجد
إن رفض الدنيا فـا بالـه يستمنـح النـاس ويسترفد
الرزق مقسـوم على قـدر يسعى له الأبيض والأسود

وقال غيره :

لا تـلم المرء عـلى فعـله وأنت منسوب إلى مثـله

هكذا كانت دعوتهم تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، لأنها شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء . إنها شجرة الإخلاص . وقد أخبر الله تعالى عن جزاء المخلصين فقال : (إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتى الله المؤمنين أجراً عظيما) .

خفف الحمل فإن العقبة كئود

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون . ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون . لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون . لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون . هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم . هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم » .

من هؤلاء الرجال الصفوة الذين اتقوا الله حق تقاته وأعدوا الزاد لليلة صبحها يوم القيامة ، العارف بالله أبو حازم ، الذى جعل نصب عينيه قول الله تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز) فما قصته مع أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك ؟

لنستمع إلى حقائق التاريخ تحدثنا بلسان اليقين ومنطق الحق المبين .

دخل أبو حازم على سليمان بن عبد الملك حين ولى الخلافة :

فقال : يا أبا حازم ما لنا نكره الموت ؟

قال : لأنكم عمرتم دنياكم وخربتم آخرتكم ، فأنتم تكرهون النقل من العمران إلى الخراب .

قال سليمان : فأخبرنى كيف القدوم على الله ؟

قال أبو حازم : يا أمير المؤمنين ، أما المحسن فيقدم على الله كالغائب يقـدم على أهله ، وما المسيء فيقدم على الله ، كالعبد الآبق لسيده ، يأتى مولاه خائفاً حزيناً .

قال سليمان : فأى الأعمال أفضل ؟

قال أبو حازم : دعاء الملهوف لمن أحسن إليه .

قال سليمان : فأى الصدقة أوفى ؟

قال أبو حازم : أن لا تعلم يسراه ما أنفقت يمينه .

قال سليمان : فأى القول أفضل ؟

قال أبو حازم : كلمة حق عند من يُخاف .

قال سليمان : فأى الناس أعدل ؟

قال أبو حازم : من عمل بطاعة الله ودل الناس عليها .

قال سليمان : أى الناس أجهل ؟

قال أبو حازم : من باع آخرته بدنياه .

قال سليمان : عظنى وأوجز .

قال أبو حازم : نزه ربك وعظمه أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك .

فبكى الأمير : فقال رجل من جلسائه : أبكيت أمير المؤمنين .

فقال أبو حازم : فقد أخذ الله الميثاق على الأنبياء لتبيننه للناس ولا تكتمونه .

ثم خرج فبعث إليه سليمان بشيء من الحلى والجواهر فرده وقال : لا أرضاه لكم فكيف آخذه منكم ؟ اهـ .

يرحمك الله يا أبا حازم ، يا من وقفت موقف الأبطال أمام أبواب الدنيا ومتاعها ، فكنت كما كان أمير المؤمنين عَلِيٌّ فى وصفه للدنيا .

قال معاوية بن أبى سفيان لضرار الصدائى وكان من أصحاب الإمام على : يا ضرار صف لى علياً .

قال ضرار : أعفنى يا أمير المؤمنين .

قال معاوية : لتصفنه .

قال ضرار : أما إذ لابد من وصفه .

فكان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلا ، ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل ووحشته .

كان والله غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ، ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللبس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، كان فينا كأحدنا . يجيبنا إذا سألناه ، وينبئنا إذا استنبأناه . ونحن مع تقريبه إيانا ، وقربه منا ، لا نكاد نكلمه لهيبته ، ولا نبتدئه لعظمته .

يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين .

لا يطمع القوى فى باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله .

وأشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت

بجومه ، متمثلا فى محرابه ، قابضاً على لحيته ، يتململ تململ السليم . ويبكى بكاء الحزين ، يقول يا دنيا غرى غيرى ، إلىّ تعرضت ؟ أم إلىّ تشوقت ! هيهات هيهات ، لقد باينتك ثلاثاً لا رجعة فيها ، فعمرك قصير ، وخطرك حقير . آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ووحشة الطريق .

فبكى معاوية وقال :

يرحم الله أبا الحسن لقد كان كذلك . فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟

قال ضرار : حزن من ذبح واحدها فى حجرها .

يرحم الله هؤلاء الناس . أولئك حزب الله الذين قال فيهم مولانا (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولايخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم . إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) .

نعم إنهم حزب الله الذين وصف الله شدة إيمانهم بقوله :

(لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أوعشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) .

وإذا كان هؤلاء هم حزب الله . فإن من حاد عن طريقهم ، وتنكب عن جادتهم ، فقد دخل فى حزب الشيطان ، لأن القسمة ثنائية ، لاتحتمل ثالثاً ، فماذا بعد الحق إلا الضلال .

(جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) .

وإذا كان القرآن الكريم بين لنا بياناً تفصيلياً مواصفات حزب الله ، فذكر أن أول صفاتهم أنهم قوم يحبهم الله ويحبونه .

الثانية — أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين .

الثالثة — يجاهدون فى سبيل الله .

الرابعة — ولايخافون لومة لائم .

الخامسة — يتولون الله ورسوله والذين آمنوا .

السادسة — لايوادون من حاد الله ورسوله مهما كان من صلات النسب ولو كانت أبوة ، أو بنوة ، أو أخوة ، أو عشيرة .

هذه أوصافهم والأسس التى مشوا عليها والمبادىء التى تمسكوا بها لاتفريط فى حرف منها .

من أجل ذلك كانوا جديرين بأن يحكم الله لهم بهذه الأحكام المنجية من خزى الدنيا وعذاب الآخرة .

أولا — فإن حزب الله هم الغالبون .

ثانياً — كتب فى قلوبهم الإيمان .

ثالثاً — أيدهم بروح منه .

رابعاً — يدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها .

خامساً — رضى الله عنهم ورضوا عنه .

سادساً — شرفهم بأن جعلهم حزبه ، وأضافهم لذاته إضافة تشريف وتكريم .

سابعاً — حكم لهم بالفلاح حيث قال (أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) .

من هؤلاء ؟

(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم فى التوراة ، ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما) .

أين تلقوا عالميهم ؟

وفى أى الجامعات تخرج هؤلاء ؟

وعلى يد من تتلمذوا ؟

وعلى مناهج من درسوا وسلكوا ؟

(ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين . الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها يضىء ولولم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس الله بكل شىء عليم) .

أين تربوا ؟

(فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو

والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار) .

ما عاقبتهم ؟ .

(ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب) .

(يا أيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم) .

لقد حذرنا الله تعالى من اتباع الشيطان والانخراط فى حزبه .

(إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) .

ما مواصفات أتباع حزب الشيطان ؟

(ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ماهم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون . أعد الله لهم عذاباً شديداً إنهم ساء ما كانوا يعملون . اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين . لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شىء ألا إنهم هم الكاذبون . استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين) .

فإنك ترى فى هذا المشهد القرآنى تحديداً قوياً لمنهج حزب الشيطان .

أولا : موالاتهم لأعداء الله .

ثانياً : الكذب على الله .

ثالثاً : حلفهم بالله كذباً يوم القيامة واتخاذهم الأيمان جنة فى الدنيا .

رابعاً : استحواذ الشيطان عليهم حتى أنساهم ذكر الله .

ومن هنا حكم الله عليهم فى العذاب الشديد ، وأنهم الخاسرون ، وأنهم الأذلون ، وكفى بهذه الأحكام خسراناً مبيناً .

لقد صدقت يا رسول الله عندما نصحت أبا ذر رضى الله عنه قائلا : « جدد السفينة فإن البحر عميق ، وأكثر الزاد فإن السفر طويل ، وأخلص العمل فإن الناقد بصير ، وخفف الحمل ، فإن العقبة كئود » .

فاللهم إنا نسألك ونتوجه إليك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ، ونور صدورنا ، وجلاء همنا ، وذهاب حزننا . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة الكتاب	٥
تصدير الكتاب	٧
ما النجاة ؟	١٤
فوائد الذكر كما ذكرها العلامة ابن القيم	١٩
البعث الحق	٣١
أدلة البعث	٣٢
أدلة أخرى	٣٣
عظمة الكون	٣٦
حديث العلم	٤١
الخلية وحدة الحياة	٤٧
البعث الحق	٥٧
القرآن والبعث	٥٨
جدد السفينة فان البحر عميق	٦٢
ثمرات الحب فى الله	٧١
اكثر من الزاد فان السفر طويل	٧٣

الموضـــوع	الصفحة
جملة من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم .	٧٧
اخلص العمل فان الناقد بصير	٨٢
كلمة حق خالدة	٨٤
الصدق فى القول والاخلاص فى العمل . . .	٨٦
خفف الحمل فان العقبة كئود	٩٠
حزب الله	٩٤
حزب الشيطان	٩٨
نبذة عن حياة المؤلف	١٠٠

رقم الايداع ٧١٧٢ / ١٩٨٧

الترقيم الدولى ISBN ٩٧٧—١٣٦—٠٦٧—١

مطابع الأهرام التجارية ـــ القاهرة ـــ **مصر**